14 me Année No. 663

Lunli — 18 — 3 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ — ١٨ مارس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

إرادة الغفـــلة

للأستاذ عباس محمود العقاد

زيد وعمرو تاجران لهما دكانان فى حى من الأحياء .

وأنت تروّج بضاعة زيد وترغب فيها أبناء الحى وبناته .

فليس لك فى هذه الحالة إلا وسيلة من وسيلتين : إحداهما أن تثنى على الأصناف الجيدة التى يعرضها زيد فى دكانه ولا وجود لها عند غيره ، وأن تشيد برخص الأسعار وحسن المعاملة التى يلقاها المترددون على ذلك الدكان .

والوسيلة الأخرى أن تتناول عمراً بالقدح والتشهير وتنحى بالعيب على كل سلعة يعرضها وكل ثمن يطلبه وكل معاملة يتلقى بها قاصديه ، وتتهمه بالاحتيال عليهم بهبوط البضائع وارتفاع الأسعار .

دعاية مكشوفة وأخرى مستورة ، ولكنهما تؤديان إلى نتيجة واحدة ، وهى كساد واحد ورواج الآخر من الدكانين .

ولا شك فى هذه الحقيقة ولا خفاء .

ولكنهما على ما يظهر لنا تحتملان الكثير من الشك ، وتحاطان بالكثير من الخفاء عند أناس فى هذا الشرق التعس يزعمون لأنفسهم أنهم « يفهمونها وهى طائرة » وهم لا يفهمون ما يحبو على أربع فوق جدار العينين .

* * *

فى أيام الحرب الطرابلسية حمل المسلمون والشرقيون على الدولة الإيطالية حملة المظلوم المشترك فى المصاب ، فكانت حملتهم عليها حملة رجل واحد لا يشذ عنها مسلم أو شرقى كائناً ما كان مذهبه فى السياسة والدين .

ثم عملت الدعاية الإيطالية عملها الذى لم تنقطع عنه قط فى إبان الدولة الفاشية ، فسكت عنها من كان قائماً قاعداً بالحملة عليها وعاش منهم من عاش فى بلادها وبين أكناف حكومتها .

ثم نشبت الحرب الحبشية وتجددت الثورة على إيطاليا فى الشرق العربى من أقصاه إلى أقصاه ، وكانت الثورة عليها شاملة للمسلمين والمسيحيين وجملة العرب والشرقيين ، لأنها ثورة المظلوم على الظلمة المستعمرين .

وهؤلاء أصدقاء إيطاليا الجدد ماذا يصنعون ؟

لقد كانوا بالأمس يحملون عليها فكيف يحملون عليها اليوم ؟

إنهم قبضوا الثمن ولا بد من الوفاء بالبضاعة .

أو قل إن الإيطاليين بذلوا المال وان يثابروا على بذله إلا إذا استفادوا منه بعض الفائدة .

فما هى الفائدة المنظورة ؟ وما هى الفائدة المستطاعة ؟

أما الترويج لدكان « زيد » فغير مستطاع .

فلم يبق إلا التشهير بدكان عمرو المسكين ... ورزقه على الله !

وكذلك قد كان !

وكذلك ظهر للسادة « الغيورين » على حين غرة أن النجاشية الذين جلسوا على عرش الحبشة فى ماضى العصور وحاضرها كانوا يظلمون المسلمين ويعطلون شعائر الإسلام .

ولتسقط « الحبشة » معناها « لتحى إيطاليا » في ذلك الصراع القائم .

وتمت الصفقة على هذه الصورة بين قبض الثمن وتسليم البضاعة من غير الطريق المستقيم .

أما أنت أيها الرجل الذى لم تقبض ثمنا ولم تسلم بضاعة فقد باعك هؤلاء الدجالون واشتروك وأنت صاغر لا تدرى ما تفهم وما تقول .

إن دخلت فى الصفقة ومضيت مع التيار الذى حملوك عليه إلى حيث يشاءون فأنت كما رأيت بضاعة تباع وتشترى .

وإن فتحت عينيك وقلت لهم إنكم دجالون منافقون ، وإنكم سماسرة استعمار مأجورون — فأنت إذن لست بالرجل الغيور على الدين ، ولست بالمسلم النافع عن الإسلام والمسلمين ، ولكنهم هم الغيورون النافخون ... هم أولئك الدجالون المنافقون ، الذين يبيعون فيك ويشترون !

ودارت الأيام ورأينا مذاهب النازية ومذاهب الديمقراطية تصطدم فى أخطر ميدان .

ثم دارت الأيام ورأينا الشيوعية والديمقراطية تتصارعان .

وعادت حكاية الدكاكين من جديد : دكان زيد ودكان عمرو فى الحى المأهول بالشرقيين الساكين .

أما الدعاية لزيد ففرصة للاتهام الصريح .

فلماذا يتعرض لها « السماسرة الأمناء » وهم فى غنى عنها بالانحاء على عمرو فى غير حرج ولا مبالاة .

لتسقط الديمقراطية معناها لتحىَ الشيوعية ... والثمن مقبوض والبضاعة مسلمة ، وكفى الله المؤمنين القتال .

فالديمقراطية إذن كذب وخداع ، والديمقراطية إذن فخ منصوب للضعفاء ، والديمقراطية إذن مسئولة عما يجنيه الديمقراطيون ، والديمقراطية إذن هى مصدر البلاء وعلة الشرور .

وما شأن « الشيوعية » يا هؤلاء ؟

شأنها أنها بذلت الثمن فى الخفاء ، فلا يليق أن تذكر فى معرض النقد والاستياء .

هى ملك معصوم ، أو هى شىء مسكوت عنه إلى أن يخرب دكان عمرو فيقبل « الزبائن » على دكان زيد طائعين أو مكرهين .

ومن المحقق أن الديمقراطيين يكذبون ويخدعون ، ولكن من المحقق كذلك أن الديمقراطية خير من الاستبداد بعد كل مايقال عن مساوىء الديمقراطيين .

هل تسقط الديمقراطية لأن الضعفاء فى الأرض لا يعاملون اليوم معاملة الأقوياء .

هل تسقط الديمقراطية لأن الأرض البشرية لم يهبط عليها فردوس الملائكة أو لم ترتفع إلى ملكوت السماء ؟

إن كانت المذاهب تعاب بذنوب أبنائها فماذا نقول فى المسيحية والإسلام ؟ وماذا نقول فى سائر الأديان ؟

منذ القدم تبشر الأديان بالخير ولا يزال الشر فى هذه الأرض كما نراه ، فهل نقول إن الأديان لم تنفع أبناءها بشىء لأنهم لا يسلمون من الخسار ؟

منذ القدم تنص الشرائع والقوانين على عقاب الأئمة والمجرمين . ولكن الأئمة والمجرمين لا ينقطعون ولعلهم لا ينقصون . فهل نقول من أجل ذلك : دعوهم يجرمون ويأثمون وأغلقوا المحاكم وافتحوا أبواب السجون ؟

منذ القدم ننادى بالاصلاح ويعمل الناس أعمال المفسدين . فهل نقول من أجل ذلك إن الفساد خير من الصلاح وإن الدعوة إلى الاصلاح سعى عقيم ورأى سقيم ؟

إن الذى ينكر الديمقراطية لأن الديمقراطيين يلامون ويعملون مايستنكره المنصفون لخليق أن ينكر القوانين والشرائع لأنها تنادى بالخير ولا يزال فى الناس شر كثير .

ولكنهم مع ذلك يقبضون الثمن ويعقدون الصفقة ، ويدخلون فيها تلك الرؤوس التى تستمع إلى ذلك الهراء الذميم فتصغى إليه وتفرهم عليه .

ودعوا دكان عمرو أيها الناس .

وهات يا زيد أجرتك ... فقد أقبل عليك أولئك الناس .

كان داروين يتحدث عن إرادة الحياة أو حب الحياة .

وكان نيتشه يتحدث عن إرادة القوة أو حب القوة .

فاذا جاز لنا أن ننشىء مذهباً جديداً نستمده من غفلة الأغرار وحيلة الشطار قلنا إنها « إرادة الغفلة » قد أصابت أناساً من الشرقيين فاتسع بينهم المجال لكل أفاك دجال ، وأصبحوا بين أمم العالم أعجوبة من الأعاجيب ، لأن أمم العالم تخيب بينهم ألف تدجيلة لكى تصيب بينهم تدجيلة واحدة بعد طول التلفيق والتدبير وتكرار المحاولة والتزييف . أما هؤلاء المصابون « بإرادة الغفلة »

صحائف مطوية :

أول زيارة للمسجد الأقصى

الأستاذ أحمـــد رمزى

كان حتما علىّ أن أسافر بالباخرة التركية « أزمير » من ثغر الأسكندرية فى ربيع سنة ١٩٣٥ ، وإذا تأخرت احتج رياض بك الصديق العزيز مدير المستخدمين ، ومحبته لدى فوق كل شىء ، فلم يكن هناك بد من أن ألحق قطار الصباح البكر من محطة صغيرة بالريف المصرى لأكون على الباخرة قبل موعد سفرها . وكانت الساعة الرابعة صباحاً حينما استيقظت وخرجت من منزلى فى يوم برده محتمل وسماؤه لا تزال نجومها ظاهرة ، ورذاذ من بعض المطر الليلى يتساقط من جريد النخل العالى ، وكان أمامى أكثر من كيلو متر ونصف سرتها على شريط السكة الحديدية قفزاً على الفلنكات الخشبية ، حتى دخلت القرية وأهلها نائمون . وقد ظهر ضوء المحطة من بعيد ، فإذا بقهوة عبد القدوس فى الشارع الرئيسى تفتح أبوابها وعلى مقعدها قارىء يرتل آيات الذكر الحكيم ، ما طللنا على الزاوية إلا وهو يستقبلنا بقوله تعالى « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين » تهلل وجهى واستبشرت وفرحت بهذا اللقاء وزال أثر التعب ، وعددت هذه نعمة من نعم الله .

ولم يمض على ذلك سوى شهر أو بعض شهر حتى صدر أمر ملكى عينت بمقتضاه قنصلا لمصر بمدينة القدس على رأس قنصلية عامة يشمل اختصاصها كل أراضى فلسطين وشرق الأردن ، فانتقلت من حياة ألفتها فى تركيا أو عودت نفسى عليها إلى حياة أكثر نشاطاً وإنتاجاً وحركة وأعمق أثراً ، ورددت كل ذلك إلى القارىء الذى استفتحت بوجهه :

شعرت بأن نفسى قد اطمأنت وقنعت وتركزت حينما نسيتنى وزارة الخارجية لمدة تزيد على سبع سنوات فى أراضى الجمهورية التركية ، فغدوت لا أشكو من شىء ، ولا أطلب الرحمة من أحد ، وتحجر قلبى فلم أعد أخاف من الوعيد أو التهديد ، أو يحركنى التهويش ، وكنت أنظر إلى الماضى فأراه قد مرّ بغير تبديل ، وإلى المستقبل فأقول بأنه سيمر على وتيرة واحدة كما ذهب الماضى ، وأحدث نفسى بأن أرجو لكثيرين من ذوى الأطماع والنفوس الطامحة أن ينتهوا إلى الحالة النفسية التى انتهيت إليها ، ذلك لأننى بمضى السنوات ومرورها متشابهة متلاحقة ، وجدت اليقين المفقود ووصلت إلى تسكين البال وراحته ، وهما أعظم ما يمكن أن يصل الإنسان إليه إذا بقى اسمه منسياً . ومر علىّ هذا الزمن وهو مملوء بالحوادث أتفرج عليها وأقيدها وأتأمل فيها ، وكان أكبر انتصار على النفس هو أن يردها صاحبها عن أن تقف فى الصف الأول أو يقعدها عن أن تزج بنفسها فى أمور لا يتسامى إليها إلا أولو العزم الشديد والعبقرية الفائقة .

ووصلت إلى شىء من ذلك بالمران حيناً وبالضغط أحياناً حتى وفقت لحد ما إلى تكييف حياتى ، فلاءمت بينهما وبين عملى وتفكيرى ، وعودتها الرضا مع اليقظة والقناعة مع الانتباه ، ولم يمض وقت طويل حتى تبين لى أن أعظم الأشياء والحوادث من سياسية واجتماعية والتى يراها الناس بمظهر الجد ويلقون عليها مسحة من الاهتمام ، تفقد رونقها الجدى وأهميتها إذا نظرنا إليها بنظرة

من شرقيينا الأعزاء فما أسرع من ظهور التدجيلة بينهم إلا أن يقبلوها ويقبلوا عليها ، لأنهم يتلذذون بالاستغفال كما يتلذذ بعض الرجال بالإغضاء عن العرض فى غير سبيل ... ولو سبيل المال .

وأقسم إننا لا نمزح فيما نقول ، لأن الغفلة لذة عند المغفلين المطبوعين على هذه الخليقة . فهى نوم أو استرسال ، ولا عناء فى النوم أو الاسترسال ، وإنما العناء فى اليقظة والانتباه ، ومن ترك المخدوع ينام ويسترسل فهو لا يزعجه بهذا الترك المريح ، ولكنه يزعجه أشد الإزعاج حين يفتح عينيه ويصيح فى أذنيه ، ويحذره من اللصوص والطراق .

معشر الدجالين !

ما قولكم فى مذاهب الإصلاح كلها منذ القديم ؟

إن قلتم إنها باطلة فقولوا عن الديمقراطية إنها باطلة لأنها لم تحسم الشرور ولم تجعل الديمقراطيين من الملائكة الأبرار .

وإن طال بكم المطال على هذا المثال فالبركة فى « إرادة الغفلة » التى تفتح لكم مجال القول فتقولون ما تشاءون .

عباس محمود العقاد

بعيدة عن الجد ، وحللنا كل موقف وكل حركة على أنها إنسانية صرفة . وقد أتاحت لى الخدمة بالخارج معاينة الكثير من هذه المواقف فأصبحت بعض المسائل ذات الصف الأول مثاراً للضحك والسخرية لو عرف الناس حقيقتها الأولى .

إن اعتقاد الكثيرين من الناس أن لديهم مزايا خارقة للعادة ، وغالبيتهم من الأذكياء كان سبباً فى وقوعهم فى أخطاء ، من ذلك توهمهم أنه بوسعهم غش المجتمع الذى يعيشون فيه أو الضحك على لحى كل من يتصل بهم ، والوصول إلى تغطية الحقائق وإنكارها مدة طويلة من الزمن . إن هؤلاء قابلتهم كثيراً فى أوساط الأمم الشرقية فكانوا أول الضحايا لأطماعهم ، وكانوا هم المخدوعين بأنفسهم حينما حاولوا خداع الناس وغشهم . وكانت هذه الأفكار تعاودنى فى وقت انتهيت فيه إلى الاكتفاء بما كنت عليه ، إلى الاقتناع بأن كفايتى وعملى وتجاربى وهذه هى كل رأس مالى ، أقول قد أوصلتنى بالطرق والأساليب التى اطمأن إليها للنقطة التى تركزت فيها ، فلم أكن أفكر ولا أؤمل ولا أنتظر شيئاً من التغيير أو التبديل أو المزيد .

هذه كانت حالتى حينما دهمتنى حركة من حركات السلك السياسى المصرى ، فإذا أنا بغير تحضير أو بذل مجهود أو رجاء ، أنقل من بلاد اقتطعت سبع سنوات ونصفاً من عمرى فى درسها وفهمها إلى بلاد جديدة أعلم عنها أشياء وأجهل عنها أشياء ، وما أجهله أكثر مما أعلمه برغم قربها وجوارها ومحبتى لها .

وكان هذا النقل حداً فاصلا فى حياتى ، إذ لو بقيت بتركيا أو نقلت لأميركا لاتجهت حياتى اتجاهاً آخر ، ولربما لم يكن لى هذا الشرف بأن أكتب هذه الكلمة ، وأن يقرأ لى قراء الرسالة بعض ما أكتب اليوم . ولقد جاءت هذه النقلة وليدة المصادفة والأقدار ، رمية من غير رام ، ذلك لأن أولى الأمر لم ينظروا فيها إلى تحقيق شىء من المصلحة العامة أو ما يلابسها من اختيار الأصلح أو الأوفق وإنما قصدوا سد خانة من بعض خانات كانت مفتوحة أمامهم فقذفوا بى إليها ، وكان ذلك من حظى إذ غدوت جندياً من جنود الإسلام والعروبة حينما تفتحت أنظارى على أرض فلسطين ومنازل الوحى الخالدة والنبوة .

وحضر قوم لتهنئتى أو لتعزيتى ، إذ المتفق عليه أن القدس والشرق منفى يرسل إليه من أفلس فى بلاد أميركا وأوربا ليستجم ثم يعود إلى بلاد النور . وهذا ما تراءى لهم ، وقد كان يصح أن يبدو لى شىء من ذلك ، ولكن الآية التى سمعتها من ذلك القارىء الأعمى فى محطة من إقليم الشرقية كانت تخفف وقع كل هذا علىّ وتجعلنى أسلم بأن فى ذلك الخير كل الخير ، وأقول هذه إرادة المولى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

ووصلت إلى مدينة القدس فى الجزء الأخير من سنة ١٩٣٥ لأتولى عملا جديداً ولألاقى وجوها جديدة . وكان أول ما قمت به هو توجهى لزيارة المسجد الأقصى ، وكان ذلك فى شهر رمضان ، ودخلته وأنا على نية ثابتة بأنه المسجد الذى ورد ذكره فى الآية التى تلاها القارىء .

دخلته وقد غمرتنى نفحة من نفحات الله ، جعلتنى أشعر فى قرارة نفسى بحوادث التاريخ الجلى التى حملها هذا الصعيد ، وكأن كل ركن من أركان هذا المسجد يشير إلىّ ، وكأن كل حجر من أحجار قبة الصخرة يحادثنى . ثلاث عشرة مائة من السنين ، تركة ضخمة من الجهاد والجد ، هل يدرك أهلها ما هى ؟

إن الأمم الإسلامية التى نعيش وسطها ونحيا ، كانت تبدو فى ذلك الوقت وقد أفلست إفلاساً يكاد يكون تاماً فى حياتها وتنازلت عن حيويتها وعن أى مظهر من مظاهر الاستقلال ، حتى اعتقد كثيرون أنها موطن الجمود والنوم والجود والتخاذل ، فهل تكون لها عودة ؟ وهل تقوى أذرعتها ونفوسها الواهية على حمل الأمانة ؟ أم ستقعد بها الهمم ؟ يوم لم تعد تفكر فى شىء سوى ملاذها وتكالبها على المادة وما تسوقه إليه غرائزها الواهية ، حينما فقدت كل عناصر القوة والأنفة ، وانحطت إلى درجة الجماد فلم تعد تهمها هذه المساجد والمدارس ، أو تترك فى نفوسها شيئاً أو بعض الشىء ، وبعد أن خيل إلى كثيرين أن ماتت لديها كل دوافع الكفاح وفنيت فيها بواعث الثورة والدعوة لخير العمل ؟

كنت أطوف بالصخرة وأنا أتأمل كل ذلك وأقول متى تتحرك أمم العروبة وتنهض من كبوتها وتستيقظ من نومها العميق وتخلع ما هى فيه من ذلة ومسكنة ؟ إن كل ما أراه أمامى فى وجوههم وسيرهم ومعاشهم وفى المدن وفى القرى يدعو إلى الأسى والألم ، وهم بعيدون كل البعد عن حيوية المبادىء التى قامت عليها الرسالة المحمدية الكبرى .

سرت فى أنحاء الحرم وهو متسع الأرجاء ، لا أقول يكاد يكون خالياً ، بل هو أكثر من أن يكون خالياً ، أما أنا فتخيلته فى نفسى يفيض بصفوف المصلين : كان يبدو لى صحنه ووجهاته

وجوانبه يوم الفتح الأكبر ، يوم دخله سلطاننا صلاح الدين بجند مصر فأقام أول صلاة للجمعة فيه ، وكيف تبارى العلماء والفضلاء فجهز كل واحد منهم خَطبة بليغة طمعاً فى أن يكون خطيب ذلك اليوم .

كنت أفكر كيف أذن المؤذنون على منائر المسجد الاقصى وأسواره فارتجت المدينة بأصوات التكبير والتهليل ، ومر أمامى كيف تقدم الملك السلطان المتواضع بقبة الصخرة فرسم للقاضى محيى الدين محمد بن زكى الدين على القرشى ، أن يخطب ، وكيف ألبسه العماد الكاتب جبة سوداء من تشاريف الخلافة العباسية ، فلبسها وصعد المنبر واستفتح بسورة الفاتحة ، فقرأها بأكملها ، وقرأ أول سورة الأنعام ، ثم قرأ من سورة الأسراء ، ثم قرأ من سورة الكهف ، ثم من سورة النمل ، ثم من سورة سبأ ، ثم من سورة فاطر ، كما تجد ذلك مفصلا فى كتاب الأنس الجليل .

ثم شرع فى الخطبة فبدأها : «الحمد لله معز الأسلام بنصره» وصلى على نبيه الذى أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى وعرج به إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ... وذكر أبا بكر وعمر وعثمان وعلى وصلى على آله وأصحابه والتابعين ؛ وقال « أيها الناس أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة وردها إلى مقرها من الأسلام ... وتطهير هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه »... لقد جددتم للاسلام أيام القادسية واللاحم اليرموكية والنازلات الخيبرية والهجمات الخالدية...»

كان كل هذا يمر أمام عينى ورأسى مطرق وخطواتى سريعة وأحبس الدمع فى عينى حتى انتهيت من قبة الصخرة واتجهت إلى المسجد فدخلت إلى المحراب لأقرأ أثر السلطان المجاهد بحروف ذهبية :

«أمر بتجديد هذا المحراب المقدس، وعمارة المسجد الأقصى الذى هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عند ما فتحه الله على يديه سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة » .

فأديت تحية المسجد فى هذا المحراب الخالد وترحمت على بانيه وعلى أرواح الشهداء وشعرت براحة تملأ نفسى حينما خرجت متجهاً إلى المجلس الإسلامى الأعلى ، ماراً بمدرسة قايتباى سلطان مصر ، واستقبلنى أعضاؤه ومعهم سماحة مفتى فلسطين الأكبر ، وقد غمر الإيمان نفسى وتملكتنى نشوة لم أتمالك لسانى عن التعبير بما يجول بين جوانحى . قلت :

« إننا فى فلسطين ومصر أمة واحدة ، اشترك الآباء والأجداد فى هذا التراث الإسلامى العربى كما اشتركنا فى السراء والضراء ، فهم قد واجهوا الموت معاً ، وعاينوا الهزائم سوياً ، كما فرحت نفوسهم بأيام النصر المتلاحقة المتتابعة . وها نحن اليوم نلاقى من أيام الشدائد ما يذكرنا بالأيام الحالكة السواد التى عاشها السلف ومن تقدمنا ، فهل كانت أيامهم أقل سواداً من الأيام التى نعيشها ؟ كلا كانت أشد وأوقع ، فلم يفت ذلك فى عضدهم ولا لانت قناتهم أمام مصائبها ، ولذلك ألقوا علينا درساً باستشهادهم وموتهم وهزائمهم ومعاركهم وانتصاراتهم ، ألقوا علينا درس يقظة وصبر وأناة وعناد وتمسك بالعروة الوثقى وتعاليم الإسلام الخالدة .

يا صاحب السماحة! إن دروس الماضى باقية فى نفوسنا لن تبيد أبداً ، وإننا نستمد منها قوة إذا ضعفت قوتنا ، ونستلهم من وحيها آمالا إذا ضعفت آمالنا فى المستقبل . وإنا لنأتى إلى هذه البقعة الطاهرة وننظر إلى هذا الجامع وإلى صحنه ورحباته وصخرته فنجدد عهدنا لكم، وتغمرنا روح الإيمان والثقة والتمسك بالأمانة التى فى أعناقنا نحن إخوانكم الذين اشتركنا معكم طول القرون الماضية ، ولنؤكد لكم مرة أخرى أن مصيرنا مرتبط بمصيركم وأن حياتنا لا قيمة لها بدونكم .

وأقول إننا نعيش أياماً مملوءة بالآلام والأحزان ، ولكن المستقبل لله وحده ، وهو الذى ذكرنا فى محكم آياته ، وأنزل سكينته على قلوبنا وخط فى سجل القدر أن هذه الأرض لنا ، وأن الأيام التى وعدنا بها مرة بعد مرة ، آتية لا ريب فيها .

إن كل الدلائل لتقنعنى أن الأمم العربية ومعها مصر ستبعث بعثاً جديداً » ...

كانت عيونهم تفيض بالإيمان ودموع الغبطة ، وكانت مودة وصداقة وأخوة ، وبدأت حياة جديدة ودخلت دنيا يعمرها الإيمان والعمل فى سبيل الله ، وكان التوفيق وحقت كلمته تعالى فكانت هى العليا .

حصل ذلك فى صباح يوم السبت ١٤ ديسمبر ١٩٣٥ وكانت أول زيارة رسمية لى بالقدس وأول عمل أبداه .

أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

على هامش النقد :

« بين الفلسفة والأدب »

تأليف الأستاذ على أدهم

الأستاذ سيد قطب

عنوان يلخص موضوعات الكتاب ، ويلخص الكاتب فى الوقت ذاته — وهى مصادفة فذة ! — فالكتاب بين اتجاهين فى كل موضوعاته : إما فلسفة الأدب ، وإما أدب الفلسفة . والكاتب كذلك فى هذا الكتاب وفى سواه من كتبه وبحوثه يتجه إلى هذين الاتجاهين ؛ فهما قطبا تفكيره وإحساسه بالحياة . سواء كتب فى الأدب أو الفلسفة أو التاريخ وهى موضوعاته المختارة

أخرج قبل هذا الكتاب : محاورات رينان (مترجمة) ، وصقر قريش ، والمنصور بن أبى عامر ، والخطايا السبع (مترجمة). والمذاهب السياسية المعاصرة ، ونظرات فى الحياة والمجتمع . كما نشر عشرات الفصول فى شتى المجلات فى مثل هذه الموضوعات .

وحيثما نظرت فى عمل من أعماله لاحظت أنه ينظر للأدب بعين الفيلسوف ، ويتذوق الفلسفة بحس الأديب ، ويتناول الشخصيات والحوادث بشعور مزيج من الفلسفة والأدب على السواء

والأستاذ أدهم هنا فى كتابه الجديد يجول فى ميدانه الأصيل ، ويستخدم أفضل ملكاته ، فينتج أفضل نتاجه . فالكتاب مجموعة فصول متفرقة يلخصها العنوان المتقدم ، وتحتوى على الموضوعات التالية بعد المقدمة : « ملتقى الشعر والفلسفة ، موازنة بين أبى العلاء وشوبنهاور ، أبو العلاء وفلسفة التاريخ ، تولستوى وفلسفة التاريخ ، شوبنهاور وفلسفة التاريخ ، فكرة التقدم ، فلسفة تاريخ الفلسفة ، بين الفن والفلسفة ، البطل والإنسان الأعلى . السياسة والأخلاق ، التمرد على العقل ، التاريخ والأبطال »

فهى من حيث الموضوع تلخص اتجاهاته جميعاً على حسب ما أسلفنا . وهى من حيث الشكل فصول مستقلة . وفى هذا النحو من الكتابة يتفوق الأستاذ على أدهم . وهو هنا خير منه فى أى كتاب ذى موضوع واحد وفصول مترابطة داخل هذا الموضوع

ولست أدرى إن كان هذا القول يسره أو يغضبه . ولكنه هو الواقع — فى تقديرى — فهو حين يكتب بحثاً فى مقال تتجلى أفضل خصائصه من الدقة والعمق والوضوح ، والإحاطة بأطراف موضوعه ، وتجليتها للقارئ ، بحيث تمطيه الكفاية التى يستريح إليها فى حيز محدود ؛ وبحيث يشعر أن فى هذا الفصل غناء ، ما لم يكن من هواة المراجع المطولة فى الموضوع الذى يطالعه

فهو كاتب مقالة مجيد ، بل هو فى الصف الأول عندنا من كتاب المقالة .

ويحسن أن أصوب هنا خطأ أو بدعة يروّجها من يفهمون الأدب كما يفهمه عشاق الأزياء ، و « الموديلات » !

لدينا طائفة من هؤلاء يفهمون أن لفنون الأدب مواسم ومواعيد ، ولكل فن أو لكل « موديل » باباً معيناً لا يتعداه .

فأدب المقالة قد انتهى فى عرف هؤلاء المتحذلقة ، كما أن الأوان هو أوان القصة ، وكل ما ليس بقصة فهو فصل متخلف فى الأدب .

وفى وقت ما كان المطلوب من الأدباء أن يكتبوا تراجم أو يوميات . وكان المطلوب من الشعراء أن يكتبوا ملاحم أو مسرحيات ! كما يطلب من الأدباء اليوم أن يكتبوا قصة أو أقصوصة ، وإلا فهم متخلفون !

كل هذه الحذلقات منشؤها ضيق الأفق وضعف التذوق ، والنظرة إلى الأدب كالنظرة إلى الأزياء كما أسلفت ، لكل زى موعد وإبان !

والحقيقة أن لكل لون من ألوان الأدب موسمه الحاضر فى كل آن ، والعبرة هى بطريقة التناول لا بشكله ، وكل ميسر لما خلق له ، وكل أدب أصيل فى ذاته فهو أصيل فى شكله على تعدد الأشكال وتباعد الأعصار ، والمفاضلة بين فنون الأدب على أساس الشكل الذى تؤدى به مفاضلة زائفة ، فالفنون كلها من هذه الناحية سواء

وإذا لم يكن بد من المفاضلة ، فإنى أحس أن كتابة « المقالة » قد تكون أشقها جميعاً . إذا أردنا أن نحصل على مقالة جيدة ، فلا بد فى المقالة من فكرة وموضوع ، ولا بد من تنسيق داخلى فى تسلسل الموضوع ، لا يقل عن التنسيق الخارجى بين الفصول المتعددة فى الكتاب ، أو القصة أو المسرحية أو فى الترجمة . وأقل فراغ فى المقالة أو تقصير يظهر للقارئ بارزاً ، فى حين قد تختفى هذه المواضع فى القصة ، لأن الحكاية أو الحبكة تغطى عليها . ولا أحب أن أرتكب الغلطة ذاتها التى يقع فيها من يفاضلون

بين فنون الأدب على أساس الشكل الذى تؤدى فيه . ولكنى أريد فقط أن أقول : إن أدب المقالة ليس أسهل ولا أقل مؤنة من سائر الآداب .

ونعود إلى كتاب الأستاذ أدهم ، فأقرر أننى خرجت من كل فصل من فصوله بفكرة واضحة كاملة عن موضوعه — بمقدار ما تستطيع « مقالة » أن تحيط بحدود الموضوع — وكل فصل من هذه الفصول لا يقف عند إعطاء فكرة عن الموضوع الذى يعالجه ، بل هو يصلح مرجعاً قريباً للباحث فى موضوعه ، وعلى الأقل مفتاحاً لمراجعه ودليلا إلى هذه المراجع مأمون الإشارة ، موثوقاً بصدقه فى الهداية إلى الطريق !

ويشعر القارئ — مع مجهولة الأداء ودقته ووضوحه — بأن هناك جهداً ضخماً قد بذل فى التحضير ، وإخلاصاً للبحث قد توافر فى المراجعة ، وتثبتاً وتدقيقاً أمام الجزئيات التى يعرض لها ... وهذه الخصائص هى أقوى ما تطلبه من كاتب يقدم لك قطافه من شتى حدائق الفكر فى الشرق والغرب فى حيز صغير محدود

كذلك يشعر القارئ فى نهاية قراءته للكتاب أنه خير منه وأوسع نظرة إلى الأدب والأشخاص والحياة قبل أن يقرأه — وهذه ميزة ليست بالقليلة ، وليست كذلك بالشائعة فى الكثير مما تخرجه المطبعة العربية من سيل الكتب فى السنوات الأخيرة — بل لا أبالغ إذا قلت : إنها لا تتوافر إلا لعدد محدود من الكتب الكثيرة التى تصدر فى كل عام .

ومع أن طبيعة الموضوعات التى تناولها الأستاذ على أدهم تجعل مجال الخلق الفنى فيها محدوداً ، إلا أنها استعاضت عن هذه السمة سمات أخرى من الدقة والعمق والوضوح تجعلها فى النهاية عملا فنياً فى هذا الحيز المعلوم ، وبخاصة ذلك الفصل القيم الذى كتبه عن أبى العلاء ، فهو من أفضل ما قرأت عن المعرى فى القديم والحديث . وقد جاء فى مقدمة المؤلف قوله :

« عمل المفكرين والفلاسفة هو إعداد الجو الذى يموج بمختلف الآراء والمذاهب والنظريات . ومن طبيعة القوة الخالقة أنها لا تكشف الأفكار ولا تبتكر النظريات ، ولا توجد المذاهب الفكرية ، لأنها موكلة بالبناء والتركيب والإنشاء ، وليس من أربها الكشف والتحليل والتوضيح والتفسير . فهى تتناول الأفكار والمذاهب والنظريات ، وتنفخ فيها روح الحياة ، وتضفى عليها الحلل السابغة والألوان الزاهية ، ولكى يزدهر الأدب ويسمو الفن ، لا بد من وجود هذا الجو الملىء بالأفكار ، الحافل بالمذاهب والنظريات . ومن ثم كانت أزمنة الخلق الأدبى العظيم فى تواريخ الآداب قليلة نادرة ؛ وبلوغ هذه الذروة فى الأدب والفن يستلزم تلاقى قوتين : قوة العبقرية الخالقة ، وقوة الزمن . والشاعر أو الكاتب أو الفنان يسمو فنه ويتسع أفقه إذا عرف أشياء قيمة عن الحياة والدنيا قبل أن يتناولها فى فنه ؛ والتفكير الفلسفى يجدى على الأدب ويزيد ثروة الخيال ، ويعين على إطلاق العقول من قيود الأهواء والنعرات ، وتصفيتها من شوائب التعصب والضيق ؛ وتأمل عظمة الكون وجلاله ، يكسب الفكر عظمة وجلالا . وقد تحقق الفلسفة فى معالجة مشكلات الحياة ومسائل الوجود ، وربما كانت تلك المشكلات والمسائل من وراء طاقة عقولنا المحدودة ؛ ولكنى أعتقد أنها توفق على الدوام فى شىء واحد ، وهو أنها ترينا أن الكون أرحب مما نقدر ، وأعظم مما نرى » .

وهذه كلمات جيدة ، وهى تعطى القارئ فكرة عن طريقة المؤلف فى تناول موضوعاته ؛ وفكرة عن نظرته للحياة والأدب والفلسفة أيضاً ، وهى جديرة بأن تفتح أعين الأدباء الخالقين من الشعراء والقصاصين وغيرهم على أن الموهبة وحدها لا تكفى ، فلا بد من التزود والاطلاع ، لا فى موضوع فنهم وحده ، ولكن فى محيط أوسع ، يشمل الفلسفة فيما يشمل .

ومع أننى أنا شخصياً ممن يدعون إلى تخليص الفن ، والشعر خاصة ، من ربقة الذهنيات ؛ إلا أن القصد والاعتدال والدقة فى بيان الأستاذ أدهم لمنطقة الفلسفة ومنطقة الفن فى مقدمته وفى الفصول التى تلتها ، تجعلنى أتفق معه فى وجوب تنوع الدراسات والثقافات لمن يريد أن ينشئ فناً ذا قيمة إنسانية .

وكل ما أبديه من تحفظات هو ألا تظهر الذهنية ، وقد أغالى فأقول ، بل الفكرية ، فى العمل الفنى ، وبخاصة الشعر الذى أحب له أن ينطلق مرفرفاً متخففاً من أثقال الذهن المقيد ، والفكر الواعى على قدر الإمكان .

وفى النهاية أذكر أن كتاب الأستاذ أدهم قد حقق فى اللغة العربية قسطه المناسب من تحقيق هذا الغرض الذى يريده مؤلفه . وهو « تزويد الثقافة المصرية العربية الشرقية بطائفة من الأفكار والآراء والنظريات التى تمهد السبيل للخلق الأدبى والفنى العظيمين »

وقد حقق هذا الغرض بأكثر مما حققتها كتب كاملة ظهرت فى بعض الموضوعات التى تناولها أوفى موضوعات قريبة منها . وذلك بلا شك حسب فصول مختصرة فى كتاب

سيد قطب

من صميم الواقع :

الكأس الأولى ...

للأستاذ علي الطنطاوي

أكثر الموظفين قد شربوا هذه (الكأس الأولى) فصاروا من بعدها سكارى ما يصحون، ولا ينتصحون .. وهذه قصة (الكأس الأولى) فانظروا من هو المسئول عنها: آلذي أخذ الرشوة، أم الذي أعطاها، أم الذي أمر بها، أم الحكومة التي قللت الرتب فدفعت إليها؟

كانت ليلة مخيفة من ليالي شتاء سنة ١٩٤١، وكانت تعول رياحها كما تصرخ الشياطين، وترقص في الجو كأنها مردة الجحيم قد أفلتت من قيودها، وأقبلت تلذع وجوه الناس بمثل حد المواسي من شدة بردها، والثلج يتطاير كأنه القطن المندوف، ويتراكم على الأبواب والنوافذ، حتى لقد بلغ سمكه على الأعتاب وفي أصول الجدران قريباً من ذراع، والناس قد فزعوا إلى بيوتهم فاعتصموا بها، وخلت الشوارع وأقفرت السبل فلا ترى فيها سالكا ...

في تلك الليلة، كانت نوبة عبد المؤمن أفندي في مخفر (الكسوة): يقضي ليلته وحيداً يرقب الطريق ليحرسه من المهربين والفارين من المكس (الجمرك)، ومن مخالفي أنظمة التموين، منفرداً بعيداً عن رفاقه وعن مساكن القرية، وكان قد أخذ معه على عادته طعامه وسلاحه، ولبس كل ما يملك من دثر الصوف، واشتمل بمعطفه، ولف عليه شملته، وأدخل كفيه في قفازيه، وأغلق عليه بابه، وأوقد ناره، واضطجع على سريره مطمئنا إلى أن أحداً لن يجتاز الليلة هذا الطريق، إلا إذا كان مجنوناً والمجنون لا يؤاخذ ... وحاول أن يهجع ساعة فيدفأ فلم يستطع لا خوفاً من أن يطرقه المفتش، فما في الدولة مفتش يخرج الليلة من بيته، بل من شدة البرد، فلقد كان النفس يتجمد على زجاج الشباك ... ثم استدارت الريح فجعلت ترد الدخان على المدفأة حتى امتلأت به الغرفة ولم يجد لدفعه حيلة، فاضطر لاطفاء النار ولبث يتقلب في البرد حتى أحس بأن أصابعه قد تجمد فيها الدم، فامتلأت نفسه بالنقمة على هذه الوظيفة وعلى حظه من الدنيا، وعلى الرئيس الذي ألقاه في هذه القفرة المنقطعة بعيداً عن زوجته وبنته وولديه بمرتب لا يتجاوز مائة ليرة سورية (نحو أحد عشر جنيهاً) وهو قد أشرف على الأربعين وقطع سن الأمل والنشاط، ونظر فإذا الذين هم دونه سنا وعلماً قد بلغوا بالوساطات والشفاعات الرتبة الخامسة أو الرابعة ... وفكر في هذا الرتب ماذا يشتري به، وكيف يعيش ... وأجرة داره الصغيرة الخربة التي استأجرها من قبل الحرب ثلاثون ليرة في الشهر، وثمن رغيف الخبز من السوق عشرون قرشاً، وكيلو اللحم بخمس ليرات، وكيلو الرز المصري بأربع ليرات والسكر مثله، وكيلو الشاي بعشرين ليرة، والحذاء المتوسط بثلاثين، وثمن القميص مهما استرخصه عشرون، وأجرة الطبيب العادي المبتدىء خمس ليرات، وحبة الكينا الواحدة بأربعين قرشا، ولوح الزجاج إن انكسر زجاج الشباك سبع ليرات[1] ...

وطفق يدير حسابه على الوجوه كلها، ويضرب الأخماس بالأسداس، ويتذكر كل ما تعلمه في المدرسة وفي الحياة من علم الاقتصاد وفن تدبير المنزل، وما سمعه من أشياخ قومه ومجاز أسرته، فلم يسعفه شيء من ذلك كله في الاكتفاء بهذا الرتب، وقصر مصروفه عليه، وتذكر ولده الصغير وأن أثمان كتبه بلغت أربعين ليرة ... أما كتب ولده الكبير الطالب في الثانوية فإن مجرد التفكير في أثمانها يفقده ما بقي من عقله، وإذا هو أكل الثانوية غداً، ودخل كلية الحقوق مثلا ... رأى بلاء أنكد وخطباً أشد، ذلك أن الأساتذة قد استحدثوا في هذه الأيام شيئا سبقوا فيه التجار والمحتكرين، وأتوا بما لم يأته أحد من الأولين، فطبعوا كتبهم في مطبعة الجامعة، ثم حددوا لها أثمانا تجمل قرش أحدهم عشرة، ثم ألزموا الطلاب بشرائها إلزاما، فلا يدخل الامتحان من لا يدفع هذه الأثمان، وحجتهم في ذلك أن الطلاب لا يشترونها إذا هم لم يجبروهم، مع أن الطلاب وغير الطلاب يشترون كتب العلماء والأدباء من غير إكراه ولا إلزام، لأنها نافعة لهم ولأن فيها متعة، فلماذا لا يجعل هؤلاء الأساتذة كتبهم ممتعة ويجعلون فيها نفعاً ... ؟ وماذا يصنع عبد المؤمن أفندي! أيدع ابنه محروما من التعليم، ويضيع هذا الذكاء النادر الذي راعت بوادره المدرسين، ويسلمه إلى وظيفة حقيرة مثل وظيفته، لا لشيء، بل لأن المدرسين والأساتذة المحترمين ذاقوا لذة الربح، فنسوا فضيلة القناعة، ولأن وزارة المعارف وإدارة الجامعة، لا تحددان الأسعار، ولا تمنعان الأساتيذ أن يكونوا كالتجار.

---

(١) هذه أسعار الحرب، وقد رخص الآن بعضها.

وعى عبد المؤمن أفندى بهـذا الحساب ، وأحس بالبرد قد وصل إلى عظامه ، فازدادت نقمته على الوظيفة وعلى الحياة وعلى نفسه . وعظم سخطه حين سمع صوت سيارة ... من هذا المأفون الذى يمر الليلة على الطريق ، فيزعجه من فراشه ليخرج فيفتشه ؟ إنها سيارة مهربين من غير شك ، ولا بد له من ضبطها لئلا يخون أمانته التى يأكل من ورائها الخبز . ثم عاد فتذكر أن الخبز الأبيض القفار لم يستطع أن يأكله من وراء هذه الوظيفة ، فحمل مصباحه البترولى وخرج وهو ساخط على كل شىء . فلما فتح الباب ، هبت عليه عاصفة مثلجة كاد تقتلعه من أرضه ، ولـكنه استند إلى الجدار وقفز إلى الطريق ، فأقفله بالحواجز الحديدية قبل أن تصل السيارة ... وصفر لها بصفارته ، فضاع صوتها فى هزيم الرياح ؛ بيد أن السيارة كانت قد وصلت ورأى من فيها المصباح الخافت ، فوقفت ، فنظر عبد المؤمن أفندى فلم يجد فيهـا إلا السائق ، ووجدها من سيارات الشحن الـكبار ، وكانت عادته التى يعرفونها عنه أنه يقوم بالواجب عليه على الوجه الأكمل ، ولم يمد يده فى عمره إلى حرام ، ولـكن هذا البرد ، وما فى نفسه من السخط والضيق عدلا به عن عادته ، فاكتفى بادخال السائق إلى المخفر ليسائله ... وأغلق وراءه الباب ، وأعد مسدسه خوفاً من أن تطمع وحدته السائق وتغريه به ، وكان عبد المؤمن أفندى رجلا جلدا جريئا حذراً ، وكانت قد تراءت على وجهه ظلال نقمته التى كان يحسها ، فبدا مخيفا مروعا .

ونظر إلى السائق فإذا هو أحد المهربين المعروفين الذين يقودون القوافل بين عمان ودمشق عن طريق البادية ، وربمـا بلغت أثمان ما فى السيارة الواحدة منها مائة ألف ليرة ... فهز رأسه ، وأزمع أن يضربه الضربة القاضية ، فما يعقل أن يأخذ السائق أجرة السفرة الواحدة عشرين ألف ليرة ، ويعطى مثلها رشوة لرجال الأمن على الطريق ، ثم يأكل التاجر الباقى ، يسحبه من أفواه المساكين والفقراء ... ويبقى هو الموظف المسكين على مائة ليرة كل شهر ، وقال له :

— أوراقك ، والبيان المصدق بما معك فى السيارة . ثم إن عليك أن تنتظر ريثما تهدأ العاصفة ويطلع النهار لنتمـكن من تفتيشها فإذا كان فيها مهرب ، صودرت السيارة وما فيها !

— قال السائق : أتحب الصدق ؟

— قال : نعم .

— قال : وهل تعدنى أن نتفاهم بهدوء ، ومن غير لجوء إلى الشدة ، أو اقتراب من الهاتف (التليفون) ؟

— قال عبد المؤمن أفندى مستغربا : وما ذاك ؟

— قال : إن فى هذه السيارة بضاعة مهربة ، هى لفلان ، وهو من تعلم مكانته وصلته بالنواب والحاكمين ، وله فيها شريك لو سميته لك لأرعبك اسمه ، وإذا أنت حجزتها ، أطلقها هو ، وأبت بسواد الوجه ، وربما نقلك إلى الجزيرة ...

— فصاح به : اسكت .. وقح ! أتهددنى ؟ سترى كيف أفتشها وأحجزها ، واذهب فاعمل ما تستطيعه . إن القانون يمشى على الـكبير والصغير ...

— قال الرجل بهدوء : لقد وصفتنى بالوقاحة ، وإنى أسامحك . إنى أتـكلم بلسان الواقع ، وأنا أحب أن نتفاهم على مهل . إنك رجل أمين شريف ، وأنا تقديراً لأمانتك أهدى إليك هدية ، قد فوضنى صاحب البضاعة بتقديمها إليك ، تغنيك عن هذا المرتب .

— فغضب وقال : أتعرض على الرشوة ؟ الآن أكتب ضبطا بالحادث ، وأريك ما جزاء من ...

— فوالى السائق كلامه وكأنه لم يسمع شيئا فقال : وهذه الهدية هى عشرة آلاف ليرة ...

فلما سمع بها عبد المؤمن أفندى تراخى ، ورأى السائق ذلك منه ، فقال :

وألف فوقها منى لتدعنى أمر الآن ، فهذا آخر مخفر قبل دمشق ، وأنا أود أن أدخلها فى هذه العاصفة كيلا يعرض لنـا أحد ، وإذا أنا وقفت فلن أخبر مخلوقا بما كان بيننا ، بل أقول إنى قادم من طريق آخر ...

لبث عبد المؤمن أفندى لحظة واجما ، ولـكن فـكره كان يدور كما تدور عجلة (الاكسبرس) ، لا يستقر على فـكرة حتى ينتقل عنها إلى غيرها . وكان ماضيه الشريف ، والمستقبل الذى أطل الآن عليه يتقاذفانه ، فـكأنه بينهما كراكب الأرجوحة ، لا يبلغ طرفاً حتى يكر مسرعا إلى الطرف الآخر . وكان صوت ضميره يهتف به أن : دعها ولا تدنس نفسك بها ، فإنها سحت ، ونفسه تناديه أن خذها ووسع بها على عيالك ، وعلم بها ولدك ... ولبث كذلك وهو يسمع من داخله مثل دقات عقرب الثوانى فى الساعة : خذ ، لا تأخذ . خذ . لا تأخذ . إلى ما لا نهاية له ...

وفى دقة منها ، كان فيها (خذ) ، مد يده فأخذ المبلغ ودسه فى جيبه بلا شعور ، وترك الرجل ينصرف ...

* * *

أفاق عبد المؤمن أفندى من ذهلته ، فأحس بمثل ما تحس به

الفتاة التى فرطت ببكارتها فى لحظة ضعف وخور ، وتنبهت فى نفسه عواطف الخير التى كان علـكها دفعة واحدة ، واحتقر نفسه وأبغضها وكره المال ، وتمنى لو استطاع أن يلحق الرجل فيردها إليه ، ورأى ماضيه الذى فقده الآن حلواً جميلا ، وأحب ذلك الفقر الشريف ، واستحال ما كان يجد من السخط عليه رغبة فيه وشوقاً إليه ، وفـكر كيف يلقى غداً أهله وصحبه ، وتوهم أنه سيكون بينهم كمن سقط فى حفرة موحلة فامتلأت ثيابه طيناً ، ثم جاء ليجالس الأطهار الأنقياء ، وشعر بجسمه يتلهب كأن فيه ناراً تتوهج ، وبالعرق يقطر فى هذا البرد من فوديه ... وصار كلما حركت الريح الباب ظن أنهم قد جاءوا لاعتقاله ، وأن أمره قد افتضح ، وحار فى هذا المال أين يخفيه ، فوضعه فى جيبه ، ثم خاف أن يفتش ، فنزع حذاءه وجواربه ، فأحاط به رجله ثم لبسها عليه ، ثم تراءى له أن أول مكان يفتش هو الجوارب ، أليس كذلك كان يصنع كلما فتش مهربى الحشيش والهنات الصغيرات ؟ وآلمه أن يرى نفسه قد انحطت إلى دركة مهربى الحشيش ، ولـكنه مع ذلك مضطر إلى إخفاء هذا المال ، فأخرجه ولفه فى منديل ، ثم خلع سراويله ووضعه فى المكان الذى لا يصل إليه أحد ... وعاد يفكر ما ذا يصنع بهذا المال ، وما ذا يقول لأولاده إذا سألوه من أين لك هذا ؟ وما ألف الـكذب ولا تعوده ، وإن هو كذب ألا تفضحه نظراته وحركاته ؟ ثم ما هى الـكذبة التى يكذبها ؟ وتصور نفسه أمام المحـكمة العسكرية ، وقد سقط من أعين أولاده وأصحابه ... إن زوجته تؤثر أن تراه فقيراً معدماً ، على أن يدخل عليها سارقاً مرتشياً ... واستغرق فى خواطره ... فما نبهه إلا حركة فى الطريق ، فأيقن أنهم جاءوا لاعتقاله ، ففزع إلى مسدسه ليقتل به نفسه ، ثم تذكر أن أشد المصائب أهون من أن يموت عاصياً ، وأنها فضيحة الدنيا بين الرفاق ، ولا فضيحة الآخرة على عيون الخلائق كلها . فمشى بنفسه إلى القضاء المحتوم ، وفتح الباب ، وكانت الرياح قد هدأت قليلا والثلج قد انقطع ، فرأى سيارة مطفأة الأضواء قد تعثرت بالحواجز التى كان أعادها من غير شعور منه بالذى يفعله ، وحاول سائقها أن يدوس الحواجز ويفر ، ولـكنها علقت بالدواليب واعترضت سيرها فاضطر إلى الوقوف ، بعد حركة عنيفة كاد يطوح فيها بالسيارة فيرميها فى الأخدود الماثل على جنبى الطريق ...

وصرخ عليه عبد المؤمن أفندى ومسدسه بيده ، فخرج من السيارة وتبعه إلى المخفر وهو مصفر الوجه ، مرتعد الأوصال ، إذ كان حديث عهد بصناعة التهريب ليس له جرأة الأول وثباته ، وأقبل على الجندى فزعاً يقول : دخيلك ، أنا فى عرضك ، والله هذه أول مرة ، وقد ورطونى ، وليس لدى إلا هذه السيارة ، هى مالى كله ومنها معيشة عيالى ...

وانكب على يديه يقبلها ، فتنبهت غريزة الطمع فى نفس الجندى ، وعاد مثله مثل الرجل الذى أقدم على الفاحشة ، ثم ندم عليها وذهب يحاول التوبة ، فدخلت عليه امرأة أخرى قد لبست بدل الثياب الفتنة والإغراء ودعته إلى نفسها ... وقال للسائق :

— دعك من هذا الـكلام الذى لا يفيد . لا بد من مصادرة السيارة وما فيها ، إلا إذا شئت أن نتفاهم ...

وكأن شعور عبد المؤمن أفندى ، وهو يقول هذه الـكلمة ، وقد توترت أعصابه كلها واشتدت ، وقد تجمع كالقط الذى يرى الفأر ، مثل شعور المقدم على الوصال المحرّم ، وهو يرى قبح عمله ولـكن الميل إليه غالب عليه ، فهو لا يملك لشهوته رداً ، ولما رأى السائق لا يفهم ، ويعود إلى استعطافه ورجائه ، تجرأ وقال له : باختصار : كم فوضوك أن تدفع ؟ ثم نظر حواليه هل سمعه أحد ؟ وحول وجهه حتى لا تقع عينه على عين السائق ، وغلب عليه الحياء إذ كانت تلك أول مرة ... فرأى السائق باب الفرج ، وقال عجلا ، الذى تريده ، الذى تأمر به ، بَس[1] اسمح لى أمرّ .

قال : اثنا عشر ألف ليرة ! وتوهم لما قالها أنه قذف قنبلة ذرية أخرى ، كالتى ألقيت على هيروشيما ، وأحس رجتها فى أذنيه ... فارتاع الرجل وصاح : أرجوك ، أنا داخل على حريك[2] ، والله ما معى إلا خمسة آلاف ، إن السيارة محملة غزلا ، وليست كالتى مرت قبلها ، تلك فيها حرير . قال : هات وامش .

وقبض عبد المؤمن أفندى المبلغ فصار معه ستة عشر ألفاً ، مرتب مائة وستين شهراً فى الوظيفة كسبها فى ليلة ، فكيف غفل عن هذا المورد أيامه الماضية كلها ... وعاد يفكر فى الشرف والطهر وفى الفضيحة . . وأحس كأنه قد جن ... ففتح الباب ، وخرج يعدو مع الريح لا يدرى إلى أين يذهب ...

لقد كان يريد أن يفر من المخفر ومن الحكومة ، ومن الرشوات ، ومن صوت الضمير ... ويريد أن يفر من نفسه !

ولم يدر أنه شرب (الـكأس الأولى) وفسد ، ولم يعد يصلحه شىء !

(دمشق) **علي الطنطاوى**

(١) بس معربة قديمة ولا بأس باستعمالها .

(٢) هذا من العامى الذى لا ينكره الفصيح

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٤ —



طفولة ملتن ونشأته

وأحدثت الوراثة والبيئة أثرهما في جون ملتن، فأحب الأدب وأحب الموسيقى كما أحبهما أبوه ، وظهرت فيه منذ صغره تلك النزعة الاستقلالية التي طرد بسببها الأب من كنف أبيه .

ولا ريب أن جون ملتن قد حرص على أن تنمو هذه النزعة الموروثة في نفس ابنه ، وآية ذلك أنه لم يشأ أن يحمله على ما لا يحب فتركه وشأنه حين أعرض عن الالتحاق بالكنيسة . والحق أن نزوع ملتن إلى الاستقلال سينمو مع الزمن حتى يصبح من أبرز صفاته .

وكان إعجاب جون ملتن بابنه عظيما ، وكذلك كان إعجاب أصحاب أبيه به ، فما سمعوا أشعاره التي ينظمها وهو في الثانية عشرة من عمره إلا أفاضوا من ثنائهم عليه ، وما رأوا إقباله على الدرس إلا تحدثوا بنباهة مستقبله ؛ وإنهم ليرون سمات العبقرية تختلج على محياه الأبلج الجميل وهو بعد في سن اللعب واللهو ...

وأحدثت كثرة الثناء عليه أثراً قوياً في نفسه سوف ينمو على مر الأيام ؛ فقد داخله شعور منذ طفولته أنه فوق مستوى غيره من الأطفال، وأنه سوف يغدو رجلا عظيما، وكان يقوي شعوره بنفسه وإحساسه بمقدرته كلما ازداد اطلاعه واتسع مجال ثقافته .

وكان أبوه عظيم الثقة في كفاية ابنه ومقدرته ، فمول الأيدخر وسعاً في تنشئته ليكون رجلا عظيما ، فاختار له مربياً يعلمه في المنزل هو توماس ينج ، وأرسله إلى مدرسة قريبة هي مدرسة سنت بول ؛ وكان للمربي الذي يتعهده في البيت شهرة في فنه فائقة كما كان (لاسكندر جل) رئيس المدرسة التي ألحق بها صيت عظيم، يمتدح الناس أسلوبه وفنه في التربية والتعليم .

وكان أبوه إذا فرغ من توثيقه ومن ألحانه يعينه بنفسه على فهم ما يقرأ ويرشده إلى الكتب التي تلائم مزاجه وطبعه ، وكذلك كان يعلمه الموسيقى إذ أنس منه إقبالا شديداً على سماع الألحان وتذوقها وتفهم تأليفها .

وشهد مربيه في المنزل ومعلموه في المدرسة أن عقل الصبي أكبر من سنه ، وأن له إلى الأدب ميلا قوياً ، وأن ذوقه الأدبي مولود فيه ، فهو جزء من نفسه ، وهو قوام إدراكه وحسه ، وما وقعت عينا امرىء عليه إلا تبينتا فيه شاعر الغد ؛ فالشواهد فيه على ذلك بينة متعددة ، تطالع المرء في تأمله وتفكيره وفي عذوبة حديثه وسعة ثقافته وجمال عبارته وإشراقها ، وقدرته منذ حداثته على اختيار اللفظ الجميل وقعه في النفس والذهن ، وانفعال نفسه للموسيقى وللبليغ من القول منثوره ومنظومه ، هذا إلى ما تنم عنه ملامح وجهه الوسيم وما تنطق به عيناه الحالمتان الواسعتان من رقة وظرف وصفاء نفسي ، وما يتسم به مظهره من رشاقة وأناقة وسلامة ذوق .

وكان محيط قراءته واسعاً في اللغة الانجليزية وآدابها . وكان للشاعر العظيم سبنسر المتوفى سنة ١٥٩٩ مكانة عظيمة في نفسه ، تعمق دراسته وتأثر به تأثراً شديداً ، واستوعب قصيدته العظيمة أو على الأصح كتابه الشهير « الملكة الجنية » وأحاط بما فيها من خيال وجمال ، وفطن إلى ما أراده سبنسر فيها من آراء دينية وخلقية ، فقد كان كل فارس من فرسانها الإثني عشر يمثل فضيلة من الفضائل ، وكان كل من هؤلاء الفرسان بطل فصل من فصول القصة يدور حول معنى مقصود اتخذت الحكاية وسيلة

لإبرازه وألبسه الشعر القوى الجيل لباساً ساحراً حبيباً إلى القلوب ، وكانت شخصية الفارس الأمير أرثر هى الرابطة التى تربط بين فصول القصيدة كلهـا ؛ ولهذا كانت أهم شخصيات الكتاب وأحبها إلى القراء . ولقد كان سبنسر أعظم شعراء عصر شكسبير غير المسرحيين ، ومن أشدهم تأثيراً فى جيله ، ويعد قمة من القمم الشوامخ فى تاريخ الشعر الانجليزى كله .

وثمة شاعر آخر أقبل على قراءته الصبى المجد ، هو سلفستر المتوفى سنة ١٦١٨ أى بعد عامين من وفاة شكسبير والذى نقل إلى الانجليزية القصة الشعرية الشهيرة التى نظمها الشاعر الفرنسى دى بارتس سنة ١٥٧٨ وموضوعها يدور حول خلق الدنيا ، والتى طبعت ثلاثين مرة فى ست سنوات وترجمت إلى ست لغـات . ولقد أعجب سبنسر نفسه إعجاباً شديداً بهذه القصيدة وبموضوعها .

ولكم وجد فيها الصبى ملتن متعة لنفسه وبخاصة موضوعها الذى ظل خيـاله فى خاطره حتى ظهر بعض أثره فيما بعـد فى قصيدته الخالدة الكبرى ، الفردوس المفقود . ولقد أعجب الصبى فى تلك السن بمقدرة دى بارتس الفرنسى على اشتقاق ألفاظ جديدة لمعانيه ، كما أعجب بمحاكاة سلفستر إياه فى الانجليزية ، فكان لهذه الترجمة أثرها فى ذوقه وفنه إلى جانب أثرها فى خياله وحسه .

وتطاول الصبى إلى قراءة شكسبير فقرأه على قدر ما يتسع له إدراكه ، كما قرأ بعض المسرحيات الشهيرة لشعراء المسرح النابهين غيره فى العصر الأليزابيثى .

وكان كثير المطالعة للانجيل حتى وعت ذاكرته أكثر أجزائه ، وألف لغته وتذوقها وتأثر بها قلبه ولسانه .

ونهل مع هذا كله من مناهل الإغريق والرومان ، فى التاريخ والأدب والشعر والميثولوجيا ، وأحب المنهل الأخير حباً شديداً فكان لا يعله مهما استزاد منه ، وصارت له خبرة بهذه الناحية من خيال الإغريق والرومان قل أن يتوافق مثلها لمن كان فى مثل سنه ، ولسوف يمتلىء شعره منذ حداثته بالإشارات البارعة إلى آلهة الإغريق وإلاهاتهم فيما يعرض له من وصف فيلبسه الجمال والسحر ...

هكذا نرى الصبى فى أولى مراحل ثقافته ينتقل كالفراشـة الطليقة بين أفواف الربيع الأليزابيثى فيبهج نفسه جمال الربيع ، ويملأ حسه افتتان الربيع ، وترن فى جوانب سمعه ألحان الربيع ، وتستقر فى خاطره تلك الأصداء الساحرة الجميلة التى تجاوبت بها قيثارات سبنسر وسلفستر وشكسبير ...

فتطير روحه الوثابة فتطوى العصور إلى ربيع قديم أشبه بهذا الربيع الذى انطوى مهرجانه من قريب ، وذلك هو الربيع الإغريقى فتنعم روحه بزينته وقوته وسحر أساطيره وأنغام مزاميره وتختزن ذلك نفسـه كما تختزن الزهرة العطر ، وتحلم تلك النفس الشـاعرة أحلام الخيال والجمال حتى تصرفها عن حلمها البهيج الرؤى فترة فيها كثير من الجد ولا يكاد يوجد فيها شىء من الزينة .

ملتن فى الجامعة :

وفى السادسة عشرة من عمره تأهب ملتن ليدخل الجامعة ، فقد اجتاز الامتحان الذى يؤهله لها فى يسر ، وتفوق فى نجاحه تفوقا ملحوظا وأقدم مزهوا ليلتحق بكمبردج ، وكانت الكلية التى انتظم فى سلك طلابها ، والتى لبث فيها من عمره سبع سنين هى كريست ، ولسوف تفتخر تلك الكلية فيما بعد بأن كان ملتن أحد أبنائها ، ولكنها اليوم تتلقاه كما تتلقى غيره من الفتيان ، لا تدرى ما ذا يكون غدا من أمره .

وأقبل الفتى على كليته فرحا يداخله من الزهو ما يداخل كل يافع فى مثل موقفه ؛ يحدث نفسه فى حماس عما هو عسى أن ينهل فيها من المعرفة ويصاحب من الأقران ؛ وما هو عسى أن يأخذ منه بقسط من المناظرة والحوار وتبادل الرأى بينه وبين أقرانه ، وكل أولئك حبيب إلى نفسه التواقة إلى الدرس الطلابة للعلم .

وتلفت الذين سبقوه إلى الكلية يتطلعون على عادة الطلاب إلى أقرانهم الجدد فى أول الموسم ، فوقعت أعينهم من بينهم على فتى أنيق الملبس ، جميل الطلعة ، حلو السمت ، فى قسماته وسامة رائعـة ، وفى ملامحه أمارات الذكاء ، وفى نظراته جد يشبه الكبرياء ، وفى عينيه تأمل وحلم ، وفى مشيته والتفاتته هدوء ودعة ، وفى محياه رقة ودماثة .

وسرعان ما تعرف إليه فريق منهم ، فما لبثوا أن أعجبهم اتساع أفقه وحدة ذكائه ؛ وإن كانوا يرون فيـه كثيرا من الاعتداد بنفسه ورأيه ، ويرون فيه كذلك حرصا شديدا ما رأوا قبل مثله على قواعد السلوك واحترام النفس ، يكادون يحسونه تزمتا وانقباضا لا يرتاحون إليه ؛ وإن فيه لميلا قويا إلى الشعر ، يحفظ منه قدرا عظيما ويشير إلى مواضع الجمال فيما يحفظ ويستمع فى شغف وطرب

إلى ما ينشد أقرانه مما غاب عنه ويعجب كيف غاب عنه ؛ ولما توثقت بينهم وبينه المعرفة رأوا فيه شابا يأخذ نفسه بقواعد الطهر والعفة وهو فى ذلك صلب الارادة لا يلين ولا يحيد .

وما لبث ملتن أن أحس أنه علق من الآمال على الكلية أكثر مما يريه الواقع ، فأين منه أيام قراءاته فى بيته ، وأين منه حريته فى هاتيك الأيام الحلوة ؛ إنه كلما ازداد صلة بالكلية أحس فى نفسه النفور شيئا فشيئا من جوها ، والضيق من كثيرين من القائمين بأمرها ؛ ولكن ما من البقاء زمنا بها بد ، وما على المرء إلا أن يحمل نفسه على الصبر حتى ينقضى أمر بقائه ... بهذا كان يتحدث الفتى إلى نفسه ، كلما ساوره من حاله ضيق أو كدر خاطره أمر .

وكانت الكلية غداة التحق بها ملتن لا تزال فيها على الرغم من النهضة بقية من العصور الوسطى ، وذلك فى روحها وفى مواد دراستها ، وكانت أهم مواد الدراسة بها المنطق والبلاغة والفلسفة المدرسية ، واللغتين اللاتينية والأغريقية ، وشىء من علوم الرياضة ، وقليل من الفلك ، وقدر يسير من التاريخ الرومانى ومن عجب ألا يكون التاريخ الانجليزى ولا الأدب الانجليزى من مواد الدراسة ، على أنه كان لمن يشاء أن يدرس هاتين المادتين أن يفعل ذلك إذا أبدى للكلية رغبته .

ولكن على الرغم من طابع العصور الوسطى ، دبت فى الكلية روح النهضة ، فشاعت فيها رغبة الإصلاح والنهوض ، وملأ جوانبها كفاح من أجل هذا الغرض ؛ وكان دعاة الإصلاح يبتغون أن يصلحوا نواحى الحياة كلها ، التعليم والسياسة والدين والاجتماع ؛ ففى التعليم رغب فريق أن تتخلص الكلية من بقية العصور الوسطى ، وتمنى فى مناهجها ودراستها بما هو أقرب إلى روح العصر ، وما هو أدنى إلى الإنسانية والحرية الفكرية ؛ وفى السياسة تطلع المصلحون إلى إبراز حق الفرد والاعتراف بكيانه واحترام إرادته ؛ وفى الدين قوى الميل إلى البيوريتانية والبروتستنتية ؛ وإن كان ثمة خلاف قد دب بين الكلفنية والأرمينية ، أعنى بين عقيدة القدر المحتوم التى آمن بها كلفن ، وبين عقيدة قبول التوبة وغفران الذنب التى نادى بها أرمينيوس الهولندى سنة ١٦٠٣ ؛ وفى الاجتماع دعا المصلحون إلى الفضيلة وإلى محاربة الرذيلة ، وظهر أثر ذلك فى تشدد القائمين على أمر الطلبة ألا يسمحوا للفتيات اللائى يتعهدن حجرات نوم الطلاب بدخول تلك الحجرات إلا إذا غادرها أصحابها .

واستجاب ملتن لهذه النزعة الإصلاحية ، فقد صادفت هوى فى نفسه التى تعشق الحرية وتنزع إلى الاستقلال ، وتعلقت بها روحه الوثابة الفتية ؛ وبدأ بها أول شوط له فى الدفاع عن حرية الفكر ؛ ولكن ذلك أخذ يغضب عليه القائمين بالأمر إذ اتهموه بالتمرد والثورة إلا قليلا منهم ، وسبب له كراهة بعض أقرانه ممن لم يعجبه اعوجاجهم وإسفافهم وشراسة طباعهم .

لم يدع ملتن فرصة اجتماع إلا وقف يندد بالفلسفة المدرسية معلنا أنه لا يرى فيها أية فائدة ، ولئن اقتصرت الكلية على هذا النهج فان يكون من ورائه جدوى . وراح ملتن يسخر من تلك الكتب التى تدرس فى الكلية ، والتى هى آثار أشياخ ضيق الصدر من القساوسة تشم فيها رائحة الحجرات الضيقة المظلمة التى كتبت فيها ؛ ويتساءل : أليس أجدر بنا وأجدى علينا أن ندرس بدلا منها طبائع الكائنات الحية وأخلاق الناس وأحوال دول العالم ؟ ويوجه ملتن سهاما لاذعة إلى مدرسى المنطق والبلاغة ، فهم يتكلمون كما يتكلم المتوحشون والأطفال ، وإنه يراهم أقرب إلى العصافير منهم إلى الرجال ...

ويعجب الطلاب من حمية هذا الفتى الذى عهدوه فى مجالسهم وديعا رقيق الحاشية ، وتعجبهم حماسته وجرأته وصراحته وتمرده على القيود التى طال بها العهد ؛ ولكن المدرسين ساخطون عليه ناقمون على ثورته ، يرمونه بالغرور ويتهمونه بالشغب والعناد والعصيان ، وقد شاع أمره فيهم حتى ضاقوا به ذرعا من يعلمه منهم ومن لا يعلمه .

وأدى بالضرورة مسلكه هذا إلى الشحناء بينه وبين القائم على أمره من رجال الكلية وهو « شابل » فكان يحس أن الطالب جون ملتن يحتقره بنظراته ، ولعله يراه متوحشا أو طفلا أو نوعا من العصافير ؛ ويرى أنه يخالف عن أمره ، فلا يؤدى ما يطلب إليه أداؤه كتابة من دروسه ، ولا يتقيد بما رسم له من نظام فى حياته اليومية ؛ يريد أن ينصرف إلى ما يحب من قراءة ، ويعلن إلى معلمه أنه لا يقتنع بجدوى تلك العلوم التى هى تراث العصر المدرسى ، وأنه يأسف على فقدانه حريته التى نعم بها قبل التحاقه بالكلية ؛ ويرى أنه كان يجد فى مدرسة سنت بول من العلم المجدى ما لم يجد مثله هنا ، ومن الحرية ما لا يجد بعضه فى الكلية ، ومن عطف معلميه ومسايرتهم إياه إلى ما يحب ما لا يتمتع هنا بشىء منه .

(يتبع)

الخفيف

الســـــلاجقة

عنصر قوة فى الاسلام

[بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء] « حديث شريف »

للأستاذ حسن حبشى

ليس من شك فى أن ظهور السلاجقة على مسرح التاريخ يعد نقطة انتقال هامة فى التاريخ الإسلامى ، فقد نشأت عدة دويلات من هذه الزمرة الصغيرة التى خرجت من بخارى يقودها سلجوق ويدفعها حبها للمخاطرة . أما من الناحية الدينية فقد كانوا حماة الإسلام ، يذبون عن بيضته ، ويناضلون عنه ، ونبغ فيهم رجال نصروا الحنيفية السمحة ، كما ظهر فى أيامهم أئمة أدرجوا فى عداد المجتهدين ، وحسبنا أن نذكر من هؤلاء حجة الإسلام الغزالى . كتب الأستاذ هربرت لوى يقول : « إنه لا يعزى إليهم فحسب ما منى به الصليبيون من فشل ذريع ، بل يرجع إليهم كذلك الأثر غير المباشر للشرق على الغرب ، ذلك الأثر الناجم عن الاختلاط الذى كان بين الفرنجة والمسلمين فى الحروب المقدسة ، وقد كان ظهور شأو السلاجقة مقويا للمذهب السنى ، كما يرجع إليهم الفضل فى إعادة الوحدة إلى الإمارات الإسلامية الممزقة ، كما أنهم وضعوا أسس الأمبراطورية العثمانية فى القسطنطينية[1] » .

هاجر سلجوق[2] من تركستان إلى بلاد ما وراء النهر ، ويعزو الأستاذ هربرت ظهور سطوته إلى هذه الهجرة وإلى اعتناقه هو وقبيلته الإسلام . وأصبحوا من دعاة المذهب السنى على عكس الفرس الذين سايروا المذهب الشيعى[3] .

(١) Cambridge med. Hist. vol III p, 299—300

(٢) تزعم القصص الموضوعة أنه من نسل أفراسياب ملك تركستان ، والعدو الخرافى للأسرة الفارسية الأولى (المرجع السابق ص ٣٠٠ بس ١٠ — ١٧) وإن كان الأستاذ توت فى Empire & Papacy) يرى أن الشهرة التي يتمتع بها سلجوق يعتورها كثير من الخرافة .

(٣) لعل سائلا يسأل عن سر ذلك الاختلاف بين هذين الجنسين والذي أراه ينبنى على ما ذهب إليه دوزي « من أنه لما كان الفرس مفطورين على اعتبار ملوكهم من نسل الآلهة فقد نقلوا هذا التوقير الوثنى — إلى على وذريته ، وكانوا يعدون الخضوع التام للامام الناجم من بيت على أعظم عمل يؤديه المرء منهم ويثاب عليه ، كما كان الامام عندهم كل شيء ، فكانوا يرونه الله صيغ فى شكل آدمى » راجع Dozy : Essai sur l'histoire de l'islamisme, p, 219 . وقد ذهب الأستاذ براون لما يقرب من هذا حين تكلم عن ميل الفرس للشيعة ، فذكر مسألة (الحق الالهي) وما كان لها من تأثير كبير فى تاريخ الفرس فى العصور الاسلامية ، وإن كانت ترجع إلى عهد الوثنية . راجع Browne : A Lit. Hist. of persia, vol I p, 130.

ظهر السلاجقة فى وقت كانت عوامل الضعف والانحطاط تعمل فى جسم الخلافة العباسية ، فقد أحاط الخلفاء العباسيون أنفسهم بالحرس التركى ، وذلك يرجع كما يذهب الأستاذ شفيق غربال بك[1] إلى موازنة النفوذ الفارسى الذى كان قد تغلغل فى جميع مصالح الدولة ، وقصة البرامكة — وهم من أشراف الفرس — وما نكبوا به ، أجلى برهان على ما وصلوا إليه من عليا المراتب فى الدولة « حتى غدوا الحكام الحقيقيين لها مما جعل الخليفة (هرون) يجمع العزم على التخلص من العائلة بأكملها[2] » .

لما تسلم بنو العباس أزمة الحكم ، لم يكن معنى ذلك استتباب الأحوال لهم ، فقد انقلب عليهم بنو عمهم العلويون الذين لولاهم لكان نجاح العباسيين ضئيلا[3] ، وكان بجانب هؤلاء الخوارج والمعتزلة والزيدية وغيرها من الفرق الإسلامية ، وكان الشيعة أعداء أقوياء الشكيمة ، وإن كان ينقصهم التنظيم . ودب الضعف فى الدولة العباسية ، فانسلخ منها كثير من الولايات الخاضعة لها « فكان قيام دولة الأدارسة فى مراكش (٧٨٨ م) على يد إدريس بن عبد الله ، والأغالبة فى تونس (٨٠٠ م) على يد إبراهيم بن الأغلب ، ودولتى الطولونيين والإخشيديين فى مصر . كان قيام هذه الأمارات خسارات فادحة للخلافة منيت بها فى نواحيها الغربية ، ولم يكن الشرق أوطد مركزاً من ذلك ، فقد كان من أثر السياسة التى سلكها الخليفة المأمون أن ظهرت فى فارس وبلاد ما وراء النهر روح قومية عظيمة ، كان من نتائجها قيام دويلات مثل الصفراوية (٨٦٧ — ٩٠٣ م) والسامانية (٨٧٤—٩٩٩) كما نشأ من الأخيرة الغزنويون ، لأن البتچين

(١) مذكرات غير مطبوعة للأستاذ غربال ألقاها على طلبة السنة الثالثة بكلية الآداب فى الفصل الدراسى (١٩٣٦ — ٧ م)

(٢) R. Nicholson : A Lit Hist. of the Arabs p, 260

(٣) Herbest Lœwe in Cam. M. Hist. vol III p, 300

مؤسس هذه الأسرة الأخيرة كان مملوكا تركيا فى البلاط الساماني، كما أن سلطان آل بويه قد شل قوة الخلفاء وألزمهم قصورهم[١] » ومع أن هذه الدول اعترفت بالسلطان الديني للخليفة إلا أن هذا الاعتراف كان إسميا . ويذكر السيد أمير على أن هذا الاعتراف كان لإكساب هاتيك الدول قوة ظاهرة ، وحتى تعتبر كل ثورة ضدها ثورة غير شرعية[٢] .

لكن متى بدأ الضعف فى الدولة ؟

التاريخ سلسلة متصلة الحلقات ، ومن لا نستطيع أن نحده . ولو فعلنا ذلك ، كان اعتمادنا عادة على الظواهر العامة البارزة التى يمتاز بها عهد من عهد .

وقد ذهب الأستاذ نيكلسون إلى تقسيم الخلافة العباسية قسمين : أحدهما عهد القوة ، ويبدأ باعتلائها العرش حتى حكم الواثق وهو قرن من الزمان . أما عهد التدهور ، فيبدأ بالمتوكل (٨٤٧ — ٨٦١ م) ، ويمتاز بأنه عهد انحطاط سريع أعقبه سقوط هائل خابت كل الوسائل فى علاجه[٣]. أما أبو المحاسن[٤] فيذهب إلى أن تدهور الخلافة بدأ باعتلاء المستكفي عام ٩٠٢ م . وربما كانت علة هذا التدهور أيضا سمة الأقطار التى كانت تحت إمرة الخلافة العباسية ، إذ كانت دولا كبيرة متعددة لا يربطها بها غير دفعها الجزية[٥] .

والملاحظ فى الدولة العباسية أن السلطة — أيام قوتها — كانت فى يد الخليفة ، أما حيث بدأ الضعف يدب فى أوصالها ، فقد انتقلت هذه السلطة إلى أيدى الوزراء ، فأين وزراء المنصور[٦] والسفاح ، من هذه الوزارات الست[٧] فى عهد المأمون ؟

(١) Loc. Cit.

(٢) Cf. Sayed A. Ali : Short Hist. of the Saracens, p, 403.

(٣) نيكلسون : نفس المرجع ص ٢٠٧ (س ١٣ — ٢٢)

(٤) النجوم الزاهرة (طبعه جينبول) ج ٢ص ١٣٤ ، ونيكلسون هامش رقم ١ ص ٢٠٧ .

(٥) T. Arnold Preaching of Islam, p, 275

(٦) قال الفخرى (الآداب السلطانية ص ١٠٦) « لم تكن الوزارة في أيامه طائلة ، لاستبداده واستغنائه برأيه وكفاءته ، مع أنه كان يشاور فى الأمور دائماً ، وإنما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف ، فلا تظهر لهم أبهة ولا رونق »

(٧) الفخرى (الآداب السلطانية) ص ٢٠٢ — ٢٠٨

هذه مقدمة وجيزة لتبيان حال الضعف التى وصلت إليها الدولة العباسية وكاد يودى بها لولا أن قيض الله لها (السلاجقة) ، فأنقذوا الإسلام « كما أن شخوصهم شطر الغرب أضاف عنصرا جديدا إلى الإسلام مكن المسلمين من الوقوف ضد الغزاة الأوربيين ، ووحدوا الإقليم الممتد من ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى حدود الهند تحت زعامة واحدة وإن كان لفترة محدودة ، وردوا الصليبيين والبيزنطيين[١] مأذين فى حياة الخلافة العباسية التى ظلت قائمة حتى تخريب المغول لبغداد عام ١٢٥٨ م ، ويعزى إليهم قيام الدولة الأيوبية فى مصر[٢] » .

من هذه العبارة نستدل على ما كان للسلاجقة من شأن عظيم فى تاريخ الإسلام والشرق عامة ، وبخاصة أنهم ظهروا فى وقت قد تمزقت فيه أوصال الخلافة أو كادت ، « وما كان من قبل مملكة متحدة تحت إمرة حاكم مسلم أصبح الآن عدة دويلات مبعثرة لا رابط بينها[٣] » ومما زاد فى تفرق بعضها عن بعض هذه المذاهب المختلفة ، فكان قيام السلاجقة رجحانا لكفة أهل السنة ولم يطل بهم الزمن حتى أسسوا ممالك سلجوقية خارج العراق كما فى الهند وتركيا .

وحد السلاجقة دويلات كثيرة منها فارس والعراق والشام وآسيا الصغرى ، فرفرف علم إسلامى واحد على آسيا من حدود أفغانستان الغربية حتى البحر الأبيض المتوسط[٤] .

عرف السلاجقة بالجرأة والقوة والحول[٥] ، وتعاور الحكم كثيرون من أمرائهم ، وحسبنا إشارة موجزة لبعضهم .

كان لسلجوق أربعة أبناء يدعى أحدهم إسرائيل ، ألقى القبض عليه السلطان محمود وأسره وظل فى أسره سبع سنوات[٦] ومات

(١) يقول لين پول فى (Moham. Dynasties, p, 150) « ولقد أحيوا عصبية المسلمين بعد ركودها ، وأوجدوا جيلا من المحاربين المسلمين المتعصبين الذين يرجع إليهم — أكثر من أى شىء آخر — ما منى به الصليبيون من إخفاق مرات عدة ، وهذا ما يجعل للسلاجقة المكانة الهامة فى التاريخ الاسلامى »

(٢) تاريخ كمبردج السابق (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

(٣) S. Lame-Pool op. cit. p, 149

(٤) Camb. Med. Hist. III p, 150

(٥) الأصفهانى : تاريخ آل سلجوق (طبعة مصر ١٣١٨هـ) ص ٥

(٦) Browne op. cit. vol II p, 167

فى أسره ، فأثار ذلك غضب أهله . ورأى ابنه قتلمش الخير فى الهرب ، ومن ثم اتخذ طريقه إلى بخارى حتى يكون بمنجاة من نقمة السلطان ، وهناك أثار حمية أقاربه للأخذ بثأر أبيه ، والثأر عند القبائل – كما يقول نيكلسون – مرض من أمراض الشرف هو أقرب إلى الجنون ، أورد الأستاذ براون[١] (عن الراوندى) أن هجرة قتلمش وأهله ، كانت فى أيام السلطان محمود وبأمره .

وأول من يهمنا أمرهم طغرل بك ، دخل هذا الزعيم السلجوقى بغداد فى ديسمبر عام ١٠٥٥ م ، « وأجلس على عرش وألبسوه لباس التشريف » . ومما زاد فى توثيق العلاقات بين طغرل وبين الخليفة القائم زواج الأخير من ابنة أخى الأول وتدعى خاتون خديجة ، وتذكر الأقاصيص أن هاتفا جاء لطغرل فى النام يدعوه للخروج لغزو بلاد الموصل وديار بكر وسنجار ، فلبى الهاتف ثم عاد إلى بغداد فشكره الخليفة لنصرته الدين ، وسماه ملك المشرق والمغرب[٢] .

لم يقنع طغرل بك بما نال من سلطة واسعة ، وما هو فيه من نعمة يتقلب فى مطارفها ، بل تاقت نفسه لتوثيق صلاته أكثر بالخليفة ، فهداه تفكيره إلى الزواج من ابنة السلطان[٣] ، وتدعى سيدة النساء[٤] ، ويظهر أن الخليفة لم يكن راضيا عن هذا الزواج ولعله كان يرى فى ذلك طمع طغرل فى أن يكون خليفة من بعده ، ومن يدرى ؟ فلربما كان يريد الاستئثار بالحكم من دونه ، ذكر ابن الأثير أن الخليفة انزعج من ذلك وأرسل فى الجواب أبا محمد التميمى ، وأمره أن يستعفى فإن أعفى وإلا تم الأمر[٥] . وعقد له عليها ، لكن عاجله الأجل إذ توفى فى العام التالى فى مدينة طغرشت ، فرجعت ثانية إلى بغداد ، وقد وصفه ابن الأثير[٦]

(١) Ibid, p 170

(٢) Ibid. p 172—173

(٣) وفى قول آخر « أخت الخليفة » وهذا ما ذهب إليه البندارى فى كتابه « راحة الصدور » (راجع Browne Lit. Hist. of Persia, p, 173 ، أما ابن الأثير فقد ذكر أنها ابنة الخليفة .

(٤) Rare accounts p 28

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٧

(٦) شرحه ج ١٠ ص ١٠

بقوله : « إنه كان حليما عاقلا من أشد الناس احتمالا ، وأكثرهم كتمانا لسره . ظفر بملطفات كتبها بعض خواصه إلى الملك أبى كاليجار فلم يطلعه على ذلك ، ولا تغير عليه ، حتى أظهرها بعد مدة طويلة لغيره » .

جاء بعده ابن أخيه جغرى داود[١] ، ويدعى ألب أرسلان ، وقد حدث قبل توليته أن مال عميد الملك الكندرى لتولية أخيه سليمان بدلا منه ، غير أنه أخفق فى مسعاه مما أثار ضغينة ألب أرسلان ، فما كاد يتبوأ العرش حتى نفى الكندرى إلى مرو ، ولم يطل عليه الزمن فى السجن فقد لقى مصرعه وقتل بأمر ألب نفسه ، وهذا ما ذهب إليه الأستاذ براون[٢] ، وكان مقتله كما يذكر ابن الأثير بعد سنة فى الاعتقال ، وفى ذلك يقول أحد الشعراء مخاطبا السلطان :

وعمك أدناه وأعلى محله ... وبوأه من ملكه كنفاً رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده ... نخوله الدنيا وخولته العقبى[٣]

واختير مكانه الأديب العالم « نظام الملك » . وأهم ما يذكر به عهد ألب أرسلان انتصاره على ملك الروم أرمانوس[٤] Romanus IV ، كما انتصر على قتلمش ، وامتدت رقعة مملكته حتى ليقول ابن الأثير إن ملكه امتد من أقصى بلاد ما وراء النهر إلى أبعد أطراف الشام . ولقد أجمل الأستاذ براون فى كتابه تاريخ الفرس الأدبى (ص ١٧٧) كل أعماله ، وهى جديرة بأن تجعله فى مصاف أعظم السلاطين . أما مصرعه فكان على يد مستحفظ قلعة يدعى يوسف الخوارزمى إذ ضربه بسكين فى خاصرته . وكان قد أخذ البيعة فى حياته لابنه السلطان ملك شاه ، وهو آخر السلاطين السلاجقة الذين ظلت أزمة الحكم فى يدهم ، ولم تتوزع الأهواء بينهم .

حسن حبشى

(١) ذكر الأستاذ براون فى Rare acc. (No 1) أنه وجد فى المخطوطات التى عثر عليها أن هذا الاسم يكتب عادة جغرى ، ولكن فى الورقة ٤٥ كتب جفرى .

(٢) Browne : Lit. Hist. of Persia vol III p, 173—4.

(٣) ابن الأثير : ص ١٢

(٤) لا نرى بأساً من إيراد ماذكره الأصفهانى (تاريخ آل سلجوق ص ٣٧ — ٤٢) فى هذا الصدد « قال ألب أنا أحتسب عند الله نفسى ، فإن سعدت بالشهادة ففى حواصل الخضر من حواصل النسور الغبر رمسى ، وإن نصرت فما أسعدنى . » ولما وقع أرمانوس فى يده لم يقتله لقوله « انظر عاقبة بغى ، والعقوبة التى جرتها إلى جريرتى » ولكن شعبه أبى أن يوليه عليه زاعماً أن المسيح ساخط عليه .

قصص فرعونية :

قصة سينوحيت

لأديب مصري قديم

بقلم الأستاذ محمد خليفة التونسي

الأدب المغبون :

أما قبل أن نضع القصة بين يديك فلنقف وقفة قصيرة لننظر ما حل بأدب مصر التي تدين لحضارتها بالفضل العميم كل الحضارات التي أعقبتها منذ فجر التاريخ حتى حضارتنا الراهنة في جميع بقاع الأرض .

نعرف لكل أمة أدبها : فلكل من الإغريق والرومان والعرب والأتراك والفرس والإنجليز والفرنسيين والإيطاليين والألمانيين والروس أدبهم ، ولأدب كل أمة قراء يقبلون على قراءته ودرسه للتمتع والانتفاع ، وله في ثقافتنا نصيب كثير أو قليل ، ولكن أدب مصر القديمة لم يقدر له حتى اليوم في اللغة العربية أنصار يقدمونه إلى أبنائها — ولا سيما المصريون — كما قدر له أنصار مقتدرون في سائر اللغات الأجنبية الحية ،ولا يعدوما كتب باللغة العربية حتى اليوم أن يكون محاولات فردية ضئيلة لا تجد معيناً ولا موالياً ، وهو شيء قليل لا خطر له ، فهو لا يعرفنا بحقيقة هذا الأدب الرائع وآفاقه التي امتد إليها ، ولم يقدر له أن يكون ذا أثر ما في ثقافتنا الراهنة التي لأدب كل أمة فيها نصيب

ومحاولتي هذه لا غنى بها عن قراءة ما كتب في هذا الباب في المؤلفات الأجنبية المطولة والمختصرة ، فهي محاولة ضئيلة لتعريف القارئ العادي ببعض آثار الأدباء المصريين الأقدمين في بعض نواحي الأدب ؛ فليعلم أنها جهد المقل إن شاء قنع به في غير مقنع ، وإن شاء المزيد اتخذ سبيله إلى التواليف الأجنبية الحافلة بكل ما يشتهيه ، وكل ما يقنعه بخطر هذا الأدب الرائع . ولعل هذا يصادف قارئاً أوسع مني فراغاً وأغزر ثقافة وأوفر صبراً فيكون أقدر مني على النهوض بإنصاف هذا الأدب المغبون ، وإعطائه ما له في اللغات الأجنبية الحية ، فيصحح نظرتنا إلى أولئك الأجداد الكرام حتى نعرف لهم فضلهم ونقدر أدبهم قدره ، وذلك في نظري مظهر للوطنية لا يقل جمالا وفضلا عن سائر مظاهرها الأخرى .

عصر القصة :

أما بعد فربما كنت أيها القارئ محتاجا إلى أن يتهيأ لك جو القصة لتكون أكثر فهما لها وإحساساً بها ، فقليل ما وقفنا عليه في تعليمنا الدرسي والجامعي من تاريخ المصريين الأقدمين ، وهأنذا أقدمه على قدر المستطاع .

أمر ملك مصر بطليموس فيلادلفوس كاهنا مصريا كان يعيش في مدينة سمنود ويسمى مانيثون أن يكتب تاريخ الفراعنة قبله ، فصدع بما أمر وابتكر تقسيمهم إلى طبقات أو أسرات . ومنذئذ حتى الآن وكثير من المؤرخين الذين أعقبوه يتابعونه في ابتكاره فيسلسلون الفراعنة في ثلاثين أسرة ، ويقسمون هذه الأسر إلى ثلاث دول : الدولة القديمة وتبدأ بالأسرة الأولى ومؤسسها مينا أو نارمر على خلاف وتنتهي بالعاشرة . والدولة الوسطى وتنتهي بالسابعة عشرة. ثم الدولة الحديثة وتمتد إلى الثلاثين حين احتل الفرس مصر حتى أجلاهم عنها الإسكندر الأكبر .

قبل أن تأفل شمس الدولة القديمة ، وإن شئت الدقة فقل في عهد الأسرة السادسة الذي أعقب عهد بناة الأهرام بدأت مصر تضعف بضعف ملوكها ، وظهرت في كل إقليم أسرة قوية على رأسها أمير اغتصب من الملك وظائف الدولة كالإدارة والقضاء وصار له فيه شبه استقلال ، وبذلك ظهرت الإمارات أو ما يسمى العهد الإقطاعي .

وكان لكل من هذه الإمارات عاصمة ، فكانت تلك العواصم كأرمنت وطيبة وأسيوط تتنازع السلطان وتحترب فيما بينها طمعاً في توسيع رقعتها بالاستيلاء على أملاك جاراتها ، وامتدت تلك الفوضى حتى نهاية الأسرة العاشرة .

كان أظهر أسرتين إذ ذاك أسرة هركليوبوليس (أهناسية) وأسرة طيبة (الأقصر) وقد ظلتا تحتربان زمناً وتم الغلب أخيراً لأمراء طيبة فبدأ شأنها يعظم وسلطانها يمتد حتى شمل مصر ، وكان ذلك بدء نشوئها وارتقائها حتى نالت شهرتها التاريخية

الخالدة . وكما انتصرت طيبة على سائر العواصم انتصر إلهها أمون على سائر الآلهة المصرية فصار أبرزها ، وعمت عبادته أرجاء مصر وصار لكهنته السلطان على سائر الكهنة والمصريين .

وقد ساعد على نشوء طيبة وتفوقها موقعها الجغرافي . فهي تتوسط سهلا خصيباً واسعاً أمامه أرض قاحلة ذات أخاديد ووهاد مما يساعد على حمايتها وسد وادي النيل عندها في وجوه غزاتها ، كما ساعد على ذلك قوة حكامها ، وبسالة رجالها الذين يؤلفون جيشها ، وتلك طبيعة رجال الجنوب الأقصى حتى الآن بحكم ذلك الموقع الجغرافي ...

وقد استطاع أميرها أن يوحد مصر ، ويخضع سائر أمرائها لسلطانه ، وذلك بدء الأسرة الحادية عشرة (الدولة الوسطى) وأعقبتها الأسرة الثانية عشرة التي يعد عصرها أزهر عصر في الدولة الوسطى ، وأول ملوكها أمنمحعت الأول (سحتب آب رع) الذي شق طريقه إلى عرش مصر واستوى عليه فرعوناً جباراً برغم كل الاضطرابات التي كانت تسود مصر ، واستطاع ضم مصر في وحدة قوية ضمانا تاماً بأن استمال بعض الأمراء بتوسيع إقطاعاتهم وتأديب العصاة منهم ، واهتم بمصالح الفلاحين ، ووضع الحجارة لتكون حدوداً بين الأراضي ، وبين لكل منهم أرضه ، وأمده بالمياه التي تكفيها ، وجيش الجيوش ورمى بها من كانوا يهددون حدود مصر ولا سيما في الجنوب لإخضاع بلاد النوبة (كما ورد في القصة عن خليفته) وملأ جو مصر رغداً وأمناً ، حتى قال بحق : لا جائع ولا ظمآن تحت حكمي . »

ومما يدل على حصافة الرجل وبعد نظره أنه ربى ولي عهده أسرتسن أفضل تربية ، وأسند إليه قيادة كثير من حملاته التي وجهها لدفع الغزاة عن مصر أو لتوسيع أملاكها ، وقبل أن يقضي نحبه بعشر سنوات شعر بضعف الشيخوخة فاعتزل الملك وأقام أسرتسن خلفاً له ، وظل إلى جانبه يرعاه ويسدد خطاه في السياسة والإدارة والحرب ، ويشرف على أعماله أثناء غيابه عن العاصمة في غزواته ، إذ أنه كان يقود جيوشه بنفسه .

وحوادث هذه القصة تبدأ في هذه الفترة أثناء عودة أسرتسن من إحدى حملاته في غرب (ليبيا) قافلا إلى عاصمته طيبة في الجنوب ، ففي طريقه جاءه رسول من القصر ينعى إليه أباه ، وكان من رجال حملته الأمير سينوحيت الذي أورد الكاتب القصة على لسانه ـ واقفاً بجانبه والرسول ينبئه بالنعي ، ففر بحياته المهددة مجتازاً واديا شرق إدهى (الدلتا) ثم الصحراء الشرقية ثم شمال سينا حتى بلغ فلسطين التي كان يسكنها العامو ، وبهذا الاسم ورد ذكرهم في القصة .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن سينوحيت الذي أجرى الأديب القصة على لسانه كان ابناً لامنمحعت ، وقد يزيد بعضهم أنه ابن غير شرعي بدليل ماورد في القصة من اتصاله المكين بالملكة والأميرات ، وهذه الألقاب الضافية التي أسبغها عليه الأديب مما يدل على قوة قرابته من الملك .

ويذهب البعض أيضا إلى أنه لم يهرب من مصر إلا خوفاعلى حياته من أسرتسن أن يقتله حتى لا ينازعه بعد موت أبيه العرش الذي استولى عليه قبلئذ بعشر سنوات في حياة أبيه .

وهذه القصة تصف كثيراً من أحوال مصر وأمنمحعت وأسرتسن والبدو من قبائل الصحراء الشرقية وسينا وسكان فلسطين وعلاقة مصر بجاراتها في ذلك العهد البعيد(نحو ٢٠٠٠ سنة ق . م) وكل أولئك ينطبق على ما هو معروف في التاريخ عن ذلك العهد حتى أن أثريا ثقة هو العالم الإنجليزي السير فلندرز بتري[(١)] Sir Flinders Petrie يذهب إلى أنها قصة دونها صاحبها لإثبات حوادث تاريخية كما كان الملوك قبل ذلك يدونون وقائعهم على جدران قبورهم وآثارهم . ويرى أنه لا يبعد أن يعثر المنقبون يوما على قبر هذا الأمير سينوحيت ، وأن يجدوا هذه القصة منقوشة في قبره .

القصة

حدث الأمير سينوحيت حافظ أختام الملك ونديمه الوفي ، والفيصل في المشكلات ، والقيم على أحوال الغرباء . قال : كنت في حاشية سيدي الأمير وقرينته العزيزة عنخت أسرتسن سليلة الملوك وشريكة حياة ولي العهد .

---

(١) راجع كتابه : قصص مصرية Egypttan Jales وله أيضاً كتاب تاريخ مصر في ثلاثة أجزاء A History of Egypt (3 vol) وكتاب مصر قبل التاريخ Prehistoricc Egypt

وحدث فى السابع من بابة من العام الثلاثين أن تسلل الإله القصر ، وقبض روح الملك الطيب سحتب آب رع (امنمحعت الأول) التي صعدت إلى السماء راجعة إلى مصدرها ، وهكذا قدر للقصر الزاهر أن تطبق عليه الكآبة ، فتوصد أبوابه ، ويخر خدمه على وجوههم حداداً على مولاهم العظيم .

حدث ذلك بينما كان جيش مصرى جرار يخوض غمار معارك طاحنة فى الغرب ، إذ كان الملك قد بعث قبل موته بهذا الجيش إلى تمهو (لوبية) وزوده بطائفة من خيرة قواده ، وكانت قيادته العليا للإله الباسل الملك أسرتسن ابنه وخليفته فى ملكه ، وما انتهى الجيش من حروبه حتى قفل راجعاً وقد غنم كثيراً من الأسرى ، وقطعاناً لا حصر لها من الأنعام .

قرّ رأى رجال البلاط أن ينهوا إليه خبر الفاجعة ، فبعثوا إليه برسول يحمل النعى إليه أثناء رجوعه من الغرب قبل أن يصل ، ولما جاءه الرسول كان الظلام قد أطبق على الأرض فأفضى إليه برسالته قائلا : « لقد طار الصقر » .

كان غرض الرسول بهذه التعمية ألا يقف أحد من رجال الجيش على جلية ما حدث ، غير أنى لم أكن بعيداً عنه حين أفضى إليه الرسول برسالته ، فسمعتها ، وما كدت أسمعها حتى وعيتها فزلزلت لها زلزالا شديداً .

استحوذ الخوف عليّ ، واشتدت خفقات قلبى ، وسرت فى أوصالى هزة هائلة ، وإذا بساقىّ تنطلقان بى بعيداً عن الجيش ، وكانت عيناى أثناء عدوى لا تنفكّان تنقبان ذات اليمين وذات الشمال عن مأوى ألجأ إليه من مخاوف ، فما ظفرت بعد لأى إلا بنباتات قليلة انطرحت خلالها مختفياً عن أعين الجيش ، متربصاً أن يمر عليّ فلا يرانى .

وعبر بى الجيش فلم يرنى أحد ، ولم أكد آمن نظراته حتى إنطلقت أعدو إلى الجنوب ، ولكن لا لأعود إلى العاصمة بل لأهرب بحياتى ؛ فقد رسخ عندى أن لاحياة لى بعد أن مات الملك .

وطفقت أغذ خطاى حتى انتهيت إلى الجيزة فجملتها خلفى ، وواصلت سراى حتى بلغت سنفرو فبت ليلتى تلك فيما حولها من المزارع .

وعند ما أشرقت الشمس شرعت أسير ، وفى أثناء الطريق لقينى رجل نخاف منى ، وطلب منى الأمان ، فتركته وتابعت رحلتى ، وقبل حلول الليل رأيتنى عند كرأهاو ، وهنا وجدت طوفا على شاطىء النهر لا سكان له ، فامتطيته تاركا نفسى تحت رحمة التيار الذى دفع طوفى إلى شرق آ كو ، وهى للرّبة حربت ربة الجبل الأحمر ، وكان بها كثير من المحاجر ، وهناك بلغت الضفة الشرقية فهبطت من الطوف وتركته .

ولم أتمهل هناك بل انطلقت إلى الشمال حتى بلغت مسلحة أقامها الملك فى ذلك الثغر[1] لدافعة جموع الساتى ، فاعترانى الخوف من أن يرانى رجال الحامية الذين كانوا يتناوبون حراسة الحدود من فوق الأسوار ، فاختبأت وراء شجرة هناك حتى لا تقع أنظارهم عليّ .

وقد أفلحت فيما أردت ، وبقيت فى مخبئى حتى إذا عسعس الليل برزت أحدس فى مناكب الأرض إلى أن تنفس الصبح ، وإذا أنا عند بتن ، فتركتها وانحدرت فى وادى كيمور[2] .

وفى هذا الوادى مرت عليّ تجربة قاسية شعرت معها بأنى هالك لا محالة ، فقد عرانى ظمأ ملح ، جفف حلقى ، وحشرج أنفاسى ، وجعل صدرى ضيقاً حرجاً . ولكنى لم أيأس ولم أهن ، بل اعتصمت بالصبر ، وأجمعت أمرى ، وإذا أنا بأصوات تطرق أذنى ، وغناء عذب يهبط عليّ بالسكينة والأمل ، ثم إذا رجال من الساتى كانوا يتجولون هناك ، وكان فيهم رجل رحل إلى مصر فعرفها وأحبها ، وقد عرفنى الرجل فأكرم وفادتى ، وسقانى ماء ولبناً فرويت وشبعت ، وقادنى إلى خيمته ، وأضافنى هو ومن معه فأحسنوا ضيافتى ، ثم دعتنى قبيلة أخرى إلى الإقامة بينهم فلبيت دعوتهم ، ونزلت فيهم أياما ، ثم رحلت شرقا حتى بلغت بى الرحلة أدوم فنزلتها .

(البقية فى العدد القادم) **محمد خليفة التونسى**

(١) الثغر الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو ، وربما كان المقصود بالمسلحة هنا مدينة (عين شمس) التى كان الملك أسرتسن قد بدأ بناءها فى ذلك الحين ، ويعزز ذلك قربها من الجبل الأحمر المذكور فى القصة .

(٢) هو وادى طوميلات جنوبى إقليم الشرقية .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٧٣ — عزله بنقرة ...

ولى عبد الله بن طاهر بعض بنى أعمامه مرو ، فاشتكاه أهلها ، ووفد جماعة منهم على عبد الله وشكوه إليه ، وأكثروا القول فيه . فقدر أنهم يتزيدون عليه فلم يعزله . فلما انصرفوا قال بعض المشايخ أنا أكفيكموه ، وورد على عبد الله فسأله عن حال البلد ، فأخبر بالهدو والسكون ، ثم سأله عن خبر واليهم ، فوصفه بالفضل والأدب وما يجمعه والأمير من النسب ، وبالغ فى ذكر الجميل ثم قال : إلا أنه ، ونقر باصبعه على رأسه نقرة (يعنى أنه خفيف الدماغ) .

فقال عبد الله : ما للولاة والطيش : اعزلوه فعزله .

وانصرف الشيخ إلى مرو فأعلمهم أنه عزله بنقرة ..

٦٧٤ — أبو نواس والعباس بن الأحنف

فى (المثل السائر) لابن الأثير :

لما دخل أبو نواس مصر مادحا للخصيب ، جلس يوما فى رهط من الأدباء وتذكروا منازه[1] بغداد فأنشد مرتجلا :

ذكر الكرخ نازح الأوطان فصبا صبوة ولات أوان

ثم أتم ذلك قصيدة مدح بها الخصيب . فلما عاد إلى بغداد دخل عليه العباس بن الأحنف وقال : أنشدنى شيئا من شعرك بمصر ، فأنشده (ذكر الكرخ نازح الأوطان) فلما استتم الأبيات قال له : لقد ظلمك من ناواك ، وتخلف عنك من جاراك ، وحرام على أحد يتفوه بقول الشعر بعدك .

فقال له أبو نؤاس : وأنت أيضا يا أبا الفضل تقول هذا ، ألست القائل :

لا جزى الله دمع عينى خيرا وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيئا ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى فاستدلوا عليه بالعنوان[1]

ثم قال ومن الذى يحسن أن يقول مثل هذا !

٦٧٥ — العيون

أبو تمام :

إن لله فى العباد منايا سلطتها على القلوب عيون

البحترى :

قال بطلا وأفال الرأى من لم يقل : إن المنايا فى الحدق

٦٧٦ — هذا لا يدعها أبدا

قيل لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : إن بنيك يشربون الخمر . فقال : صفوهم لى . فقالوا : أما فلان فإذا شرب خرق ثيابه وثياب نديمه . فقال : هذا سوف يدعها . قالوا : وأما فلان فإذا شربها تقيأ فى ثيابه . قال : وهذا سوف يدعها . قالوا : وأما آدم فإذا شربها فأسكن ما يكون ، لا ينال أحدا بسوء . فقال : هذا لا يدعها أبدا . ومن قول آدم بن عبد العزيز :

شربنا الشراب الصرف حتى كأننا
نرى الأرض تمشى والجبال تسير
إذا مر كلب قلت قد مر فارس وإن مر هر قلت ذاك بعير
تسايرنا الحيطان من كل جانب
نرى الشخص كالشخصين وهو صغير

٦٧٧ — وعيبهم بنى الدنيا لقاء بنائها

فى (ثمار القلوب) : بنو الدنيا هم الناس ، وقيل لعلى (رضى

(١) فى مستدرك التاج : المنازه : المواضع للتنزهات وقد استعمله المصنف (يعنى صاحب القاموس) ، فى كتابه هذا استطرادا فى وصف بعض البلاد .

(١) أنشد الحرمازى هذه الأبيات ثم قال : هذا (والله) طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه .

الله تعالى عنه) : أما ترى حب الناس للدنيا ؟!

فقال : هم بنوها .

وسمعت الخوارزمى يقول : أحسن ما قيل فى مدح النساء ، قول الشاعر :

وبحن بنو الدنيا وهن بناتها وعيش بنى الدنيا لقاء نباتها

٦٧٨ — فلم يفتلذك المال الا حقائقه

نصيب :

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه
صنيعة تقوى أو صديق توامقه(١)
بخلت وبعض البخل حزم وقوة فلم يفتلذك المال إلا حقائقه(٢)

٦٧٩ — فنفشت أذنابها

فى (خزانة الحموى) : كتب ابن جلنك الحلبى إلى قاضى القضاة كمال الدين بن الزملكانى رقعة يسأله فيها شيئاً فوقع له بخبز ، واستحى أن أقول : إنه رطلان(٣) ، فتوجه ابن جلنك يوماً إلى بستان يرتاض فيه ، فقيل : إنه لقاضى القضاة المشار إليه فكتب على حائط البستان :

لله بستان حللنا دوحه فى جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبها سنانيرا رأت قاضى القضاة فنفشت أذنابها(٤)

٦٨٠ — اتفاق عجيب

قال صاحب المسهب : كنت بمجلس القاضى ابن حمدين وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها وفى الجملة هلال شاعر غرناطة ومحمد ابن الاستجى شاعر استجه الملقب برحكون . فقام الاستجى وأنشد قصيدة منها :

إليك ابن حمدين انتخلت قصائدا بها رقصت فى القضب ورق الحمائم
أنا العبد لكن بالمودة اشترى إذا كان غيرى يشترى بالدراهم

فشكره ابن حمدين ونبه على مكان الإحسان ، فحسده هلال البيانى ، فلما فرغ من القصيدة قال له هلال : أعد على البيت الذى فيه ورق الحمائم ، فأعاده . فقال له : لو أزلت النقطة عن الخاء كنت تصدق .

فقال له محمد الاستجى فى الحين : ولو أزلت أنت النقطة عن العين كنت تحسن (وكان على عين هلال نقطة) فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب .

٦٨١ — من زاوية الى زاوية

كان مهيار الديلمى الشاعر الأديب صاحب المحاسن والشعر المذب الرائق مجوسياً فأسلم على يد السيد المرتضى وكان يتشيع . قال له القاسم بن برهان يوماً : يا مهيار قد انتقلت باسلامك فى النار من زاوية إلى زاوية .

قال : وكيف ذلك ؟

قال : لأنك كنت مجوسيا ، فصرت تسب أصحاب محمد فى شعرك ...

٦٨٢ — فلا يسب أبا بكر ولا عمرا

قال ابن قطرال : كنت بالمدينة إذ أقبل رجل بفحمة فى يده ، فكتب بها على جدار هناك :

من كان يعلم أن الله خالقه
فلا يحب أبا بكر ولا عمرا

وانصرف ، فألقى على من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسى قبل ، فجعلت مكان يحب يسب . ورجعت إلى مجلسى ، وجاء فوجده كما أصلحته ، فجعل يتلفت يميناً وشمالا ، كأنه يطلب من صنع ذلك ولم يتهمنى ، فلما أعياه الأمر انصرف .

محمد اسعاف النشاشيبى

(١) وامقه يوامقه موامقة ووماقا : أحبه

(٢) افتلذ المال وافتلذه منه : اقتطعه منه ، أخذ من ماله فلذة : قطعة .

(٣) الرطل بالكسر والفتح والأول أفصح والثانى أشهر .

(٤) قاضى : بسكون الياء ضرورة . قال ابن حجة : قول ابن جلنك أظرف ما رأيت فى هذا الباب (يعنى الاستطراد فى البديع) ، ومن الاستطراد قول بعضهم يصف خمرا طبخت حتى راقت وصفت :

لم يبق منها وقود الطابخين لها إلا كما أبقت الأنواء من دارى

انظر ما أحلى استطراده من وصف الخمر الى وصف داره بالخراب .

يوم في الجامعـــة

مسرحية في مشهد واحد

لصاحب السعادة عزيز أباظة باشا

مثلها طالبات معهد التمثيل وطالباته في حضرة صاحب الجلالة الملك بقصر صاحبة السمو الأميرة شويكار في ليلة عيد الميلاد الملكي السعيد .

الممثلون :

شفيق . يحيى . عباس . طلبة بالجامعة

زينب . سعاد . سميرة . طالبات بالجامعة .

« يدخل الخمسة الأول »

زينب : « لشفيق وهو منهمك في قراءة صحيفة » :
صاح ما الأنباء ؟

شفيق : عن ما ذا ؟

سعاد : عن الدنيا

شفيق : مهازل ! !
عالم يذخر بالخلف ويغلي كالمراجل
يقلب الباطل حقاً ويرد الحق باطل

يحيى : وبلاد تخلف الوعد وسُوَّاس تماطل
وشعوبٌ في ظلال السـ ـلم بالختل تقاتل

شفيق : « في اشمئزاز »
قيل دولات صغيرات ودولات كبيره ! !

عباس : قولة الظلم وإن لم تطمس الحق كبيره
قيل ضم الناس عدل وعلى الأرض سلام
ظلموا العدل فما العدل اعتداء واهتضام

شفيق : لن يعيش الكون في سلم ولن تطوى شروره
ما استمر العالم المغرور يحدوه غروره

يحيى : كل يوم صور للعسـ ـف والغصب جديده
احتلال فانتداب فوصايات رشيده ؟؟

عباس : حفظوا المعنى وزافوا اللفظ والدنيا شهيده

يحيى : يا دعاة العصر رو ح العصر عدل وتصافي
يا حماة السلم ليس السـ ـلم إذلال الضعاف

زينب : روِّحوا عنكم فمصر حرسَ الله عُلاها
هي بالفاروق قد أو فت على أسمى مناها

سعاد : ملك منَّ به الله عليها فاجتباها
وحماها كل مكروه وبالنفس افتداها

يحيى : مصر والفاروق صنوان جلالا وعلاء
هو يحبوها خلوداً وهي تحبوه ولاء

عباس : ذكرت الولاء لمولى البلاد وباعث نهضتها الرائعه
وأولى العباد بهذا الولاء شباب البلاد بنو الجامعه

شفيق : رعانا وأنشأنا نشأة نباهي بها في الشعوب الشبابا

زينب : وهيأنا لغد صالح فكان الدعاء وكنا الجوابا

عباس : وشجع من نبغوا بيننا فزدنا دنواً له واقترابا

شفيق : « في فخر وادعاء »
دعانا فأنزلنا قصره وبوأنا المنزل المستطابا

زينب : « في استنكار مرح »
دعاك؟ وهل كنت فيمن دعا؟

سعاد : « في حال كحالتها »
ومثلك ما همَّ إلا وخابا

شفيق : « ينظر لهما في غيظ مرح ويقول في نغمة يائسة » :
دعاهم فأنزلهم قصره فنالوا المنى عنده والرغابا

يحيى : وأطعمنا قبل حلو الطعام رضا فزكا الحمد منا وطابا
وكرمنا فحنينا الرؤوس بأعتابه وخفضنا الرقابا

شفيق : وحملنا
« ثم يستدرك ويقول »
وحملكم مشعلا يهتدى به الجيل بين طوايا الظلَم

عباس : وأيقظ فينا شعور الجهاد وزودنا بالحجى والهمم
وقال إذا شدتمو للبلاد صروحا على الفضل لم تنهدم

زينب : وعلمنا السبق للمكرمات وكرم من بيننا من سبق

شفيق : وقال بأخلاقكم فابدأوا فإن عتاد النجاح الخُلق

سعاد : وكان لنا مثلا نحتذيه فأنعمْ وأكرمْ بهذا المثل

يحيى : رعى شعبه واتقى ربه على سنة الراشدين الأُوَل

فبوأه الله عرش القلوب وأسكنه الشعبُ بين المقَل

[تدخل سميرة وهي تكاد تعدو وتشير إليهم بأوراق فى يدها فى فرح وزهو]

الجميع : سميرة

سميرة : بشراكمو إخوتى وأبناء جامعتى النابهينا
بلغنا منى العمر فزنا بما حسبناه حلما

بعضهم: « فى لهفة » : ألا خبرينا

سميرة : مدينة فاروق زين الملوك للطالبات وللطالبينا

عباس : ألا إنها أمل لم يكن به الدهر إلا شحيحاً ضنينا

يحيى : قطعنا الزمان وأحلامنا تداعبه وعبرنا السنينا

سميرة : ألا فاهنأوا قد ظفرتم به

شفيق : أحقاً تقولين أم تهزلينا

سميرة : أأهزل فى منة للمليك ستلزم أعناقنا ما حيينا ؟

زينب : بربك قولى الذى تعرفين

شفيق : وقولى كذلك ما تجهلينا

[تتكلف سميرة التحفظ فى مرح]

سعاد : « فى صبر نافد » :

ألا تنطقين !!

سميرة : « تشير بيدها إشارة لا »

شفيق : « فى حركة صبيانية » : سنمضى إلى

العميد فنعلم ما تعلمينا

« يهمون بالخروج فتقف سميرة فى سبيلهم مادة ذراعيها لتمنعهم »

سميرة : تعودوا الصبر

يحيى : إن الصبر عادتنا

فى النائبات . وهذى فرحة العيد

شفيق : بحق فاروق قولى ما أحطت به

فما سكوتك عن هذا بمحمود

سميرة : « فى فخر ومرح » :

إذن خذوا أكرم البشرى وأروعها

وتوجوها بتحميد وتمجيد

مدينة الجامعيين التى وعدوا

قدماً فكانت سراباً فى المواعيد

قد هيأ العاهل الفاروق مولدها

على يديه . فكانت خير مولود

قال ارفعوها وساق المال عن سعة

وذاك أقدس تعضيد وتوطيد

وساهمت أمراء البيت تقدمهم

أميرة الفضل والإحسان والجود

شفيق : قد كان يعلم ما يلقى الغريب إذا

نبت به الدار من هم وتسهيد

عباس : رمت بنا مصر من أقصى أطارفها

فلم نزل بين إرهاق وتشريد

يحيى : « يشير لشفيق » :

وبيننا فئة لج الشباب بهم

سمت العثار فألقوا بالمقاليد

شفيق : لأنهم حرموا دوراً تزف لهم

رقابة الأهل فى عطف وتسديد

يحيى : ما زال فاروق يهدينا ويكلأنا

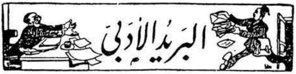
سميرة : فى ظل مُلك منيع الركن ممدود

[الجميع فى صوت واحد] :

هذى مدينتنا كدنا نطيف بها

ياعيد فاروق . هذى منحة العيد

ستار



عود الى لقب السفاح :

كنت ذهبت فى مقالات نشرتها بالأعداد (٣٤٦،٣٤٧،٣٤٩) من مجلة الرسالة الغراء ، إلى أن لقب السفاح لم يكن اللقب الحقيقى لأبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وإنما هو لقب أطلقه عليه بعض المؤرخين ، وأخذه من قوله فى بعض خطبه (فأنا السفاح المبيح ، والثائر المنيح) فغلب عليه فى كتب التاريخ ، وغطى على لقبه الحقيقى ، ثم ذكرت أن لقبه الحقيقى كان القائم أو المهتدى أو المرتضى ، كما ذكر الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ، والقلقشندى فى صبح الأعشى .

وقد ذكر الأستاذ ميخائيل عواد نصاً جديداً فى العدد الأول من السنة العاشرة من مجلة المعلم الجديد العراقية ، نقله عن هلال بن المحسن الصابى صاحب كتاب رسوم الخلافة ، وقد جاء فى هذا النص أنه اختلف فى لقب أبى العباس ، فقيل القائم ، وقيل المهتدى ، وقيل المرتضى ، لما غلب عليه السفاح ، وإنما ذكر بذلك لكثرة ما سفح من دماء بنى أمية .

ولا شك أن هذا النص يؤيد الرأى الذى ذهبت إليه ، ويثبت أن لقب السفاح قد وصف به أبو العباس من بعض المؤرخين ، ولم يكن لقباً حقيقياً له .

عبد المتعال الصعيدى

اللجنة الثقافية للجامعة العربية :

عقدت اللجنة الثقافية العامة جلستها الأخيرة فى الأسبوع الماضى فبحثت فى مشروع إنشاء معهد لإحياء المخطوطات العربية الموجودة فى العالم وتصوير أقيمها وأفيدها ووضعها تحت تصرف العلماء والبحاثين والناشرين فى أطراف العالم .

وقد قابلت اللجنة هذا المشروع بتحمس شديد لأنه يضمن الوصول إلى كنوز الفكر العربى ويحفظ تراثه الموجود من الضياع والتشتت ، وقد أقرت هذا الموضوع ، وطلبت عرضه على مجلس الجامعة العربية فى دورته المقبلة ، ثم نظرت فى مشروع عقد مؤتمر عام يجتمع فيه عدد كبير من علماء العرب الذين يعنون بالثقافة العربية فيبحثون فى أمرين على غاية من الأهمية فى تقوية الروح القومية والثقافية العربية .

أولهما : وضع مناهج للحد الأدنى من الثقافة العربية فى التاريخ والجغرافيا والأدب والأخلاق ينبغى أن يتلقاها طلاب العرب فى مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية لتقوى فيهم الروح العربية الفاضلة ، ويطلعون على ماينبغى أن يطلعوا عليه من الثقافة العربية .

وثانيهما : بحث وسائل تحسين الطرق والأساليب التى تدرس بها اللغة العربية ؛ فأقرت اللجنة فكرة عقد هذا المؤتمر وعهدت إلى مكتبها الدائم بأن يؤلف لجنة من خبراء فى الثقافة العربية يعدون وسائل عقد المؤتمر ويحضرون موضوعاته ويدعون إليه .

الى فضيلة الأستاذ الطنطاوى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قدمت — أعزك الله — فى معرض حديثك عن حرية[1] الكتابة ، مثالين اعتمدتهما سناداً لما رويته عما يرتكب فى هذا الزمن من خطيئات ، وما ينشر من مفاسد وإهانات ، تسىء إلى أرباب العلم والأدب ، فيكون نشرها جرماً بالنسبة إلى المجتمع العلمى والأدبى ، كما يكون السكوت عن مثل هذه الافتراءات ، وترك أصحابها يسرحون ويمرحون كما يحلو لهم جرماً أشد وقعاً على ذلك المجتمع ؛ وقد كان أول المثلين عن كتاب أو ديوان … « قالت لى السمراء … » ، الذى لم أر فيما قلته عنه إلا الحق الصراح ، والنقد المباح الذى لا يترك فى نفس الطالع حقداً ولا تميزاً ، وإنما هو الإقناع مأتى من أحسن نقاطه ، لكل من تهمه الأخلاق ، ويهمه أن يكون الدين أو المجتمع مبنياً على ركيزها .

وأما المثل الثانى ، فكان عن كتاب يدرس فى الصف المنتهى للمدارس الثانوية ، هو : « مختصر تاريخ الحضارة العربية » . وهنا أيضاً لا أرى مانعاً من نقده بما حواه من تخليطات يكفر بمثلها المؤمن ، وغلطات علمية لا تغتفر ، يجب أن يحاسب المؤلف

(١) الرسالة : عدد (٦٦١) ص ٢٤٠ — ٢٤١ تحت عنوان : (مقالات فى كلمات) .

عليها حساباً عسيراً ، وإنما الذى راعنى وراع كثيرين غيرى ممن يحفظون لكم كبير المقام ، ويرمقونكم بنظرات الإكبار أن تأخذوا على المسيحى ، أو غير المسلم ، تدريس علم التاريخ ، والعلوم كما يراها كل الناس ، مشاع لا يجوز أن يحتكرها المسلم أو غيره . وليس عجيبا أبداً أن يدرس هذا العلم مسيحى ما دام يقوم بتأدية قسطه العلمى على أتمه ، ويؤدى واجب هذا الفرع من العلم بما يرضى الله ويرضى عباده العالمين الراسخين بذلك العلم .

لقد قلت — حفظك الله — قبل الآن : « أفسمعت بأعجب من تدريس[1] الخواجه ميشيل والخواجة توما سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ؟ » ، وما يمنع — يا سيدى — الخواجه ميشيل من ذلك إذا رأيناه عند تدريس سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، متحمساً لها ، متعمقاً بدراستها ، لا يترك كبيرة أو صغيرة ، ولا شاردة أو واردة من تلك السيرة إلا أتى عليها ، ولا مصدراً إلا كشف عنه وبين محاسنه ومساوئه ؟ وما الفرق بين عدنان وغسان ، أو (نظيم) و (ميشيل) أو سواهم ، والكل درس فى فرنسة ، وتلقى علمه وأدبه ونال شهادته التى هو موظف بموجبها ، ويتقاضى راتباً بموجب درجتها ، من تلك البلاد الأجنبية؟ ليس من فرق بين هذا وذاك ، سوى أن الأول رجع إلينا بمذهب شيوعى وزوجة فرنسية ... ولم يرجع الآخر وهو أحرى بذلك — إلا بعلمه .

إن معظم هؤلاء المعلمين يا صاحب الفضيلة ، ملحدون ، ولأمور دينهم ودنياهم لا يفقهون ، وعن طريقها القويم ضالون ، وما أنت — أيها الأستاذ — بغريب عن كل ذلك ، وما الشادة التى حصلت بينك وبين بعضهم فى زمن ليس بالبعيد ، وكانت السبب الأول فى تركك التعليم فى المدارس الثانوية ، وتوجهك وجهة القضاء الشرعى ، إلا من أدعم البراهين لما أقول .

أنا أول من يقول بإبعاد من لم يكن كفئاً للتدريس عن مسارح التعليم ، كائنا ما كان دينه ، وأول من يؤيد فكرة القيام بفحص عام لهؤلاء الذين يحملون شهادات الجامعات الفرنسية ، وبينهم من يحمل الدكتوراه فى الأدب العربى ، وكانت أطروحته عن أحد الخلفاء الراشدين ، والمجاز فى علم الجغرافيا ، ولا يعلم حدود بلادة على التحقيق ! ويقول أثناء إلقاء دروسه : « هؤلاء الجبال يعدون مرتفعين » وإذا كنت كذلك فلا أرانى معارضاً إبقاء من هو أهل للتعليم من هؤلاء — وهم كثرة أيضا — فى مركزه.

وأخيرا ، أرجو أن لا أكون أغضبت فضيلة الأستاذ ، بما أقدمت على لفت نظره إليه ، وهو الواسع الصدر ؛ وما دفعنى إلى ذلك إلا حبى لصراحته وأسلوبه النقدى أولا ، ثم لأدفع عنه تهمة أحب البعض ممن يدعون التجدد من الشباب إلصاقها به ، وهو بعيد عنها ، حيث قالوا : إن فضيلته من (المتعصبين) أو ممن يدعوهم مركزهم الدينى ووظيفتهم الشرعية إلى مثل هذا الكلام فى صدد بعض المعلمين المسيحيين ، وأنا أول من يشهد بأن الأستاذ — وهو الجرىء فى كل شىء — لم يقصد بما قال إلا وجه الحقيقة والدين والأخلاق ، وهو عما ينمتونه بعيد ، ومما يلصقونه براء

وعلى كل حال فالرأى له ، وهو أجدر بالرد على هؤلاء ، بما عرف به من لسان فصيح ، ونطق بليغ ، وحجة قوية ؛ بشرط أن يميز بين هؤلاء وأولئك ممن عنيتهم فى صدر كلمتى هذه ، والسلام .

دمشق **عزت عثمان**

مجاز فى الآداب والفلسفة

(١) الرسالة عدد ٦٥٠ ص ١٣٧٢ تحت عنوان (تعميم الثقافة الاسلامية)



قصة ألبانية :

المهـــد الذهبي

[مهداة للأستاذ الكبير كامل كيلاني]

نقلها الأديبان :

وهبي اسماعيل حقي وابراهيم خير الله

— ٣ —

اتجه الشابان إلى المقهى الذى اعتادا الجلوس عليه ، وقبل أن يصلاه قابلهما صديقهما « شفيق حامد » ومر بهما دون أن يحييهما ، فظنا أنه لم يرها ، أو أن شاغلا شغله عنهما ، ثم إنهما انتحيا فى المقهى ناحية خالية من الناس واتخذا مقعدين متقابلين وبعد صمت لم يدم طويلا قال فريد :

— لا يعلم إلا الله وحده أين أكون بعد شهر من هذا التاريخ ؟

— من الرأى ألا تبرح المدينة إلا إذا دعت ضرورة ملحة .

— وهل أنا مجنون ؟ كيف لا أبرحها وعندى جبل من النقود ؟

— لا تبرحها لترى أولا مقدار النقود التى ستحصل عليها من هذا الكنز .

— إنها عدة ملايين على أقل تقدير .

— ما دمت تريد الملايين يجب أن تظل هنا مؤقتا .

— أظل هنا لأخرج كل يوم إلى المتجر وأقضى نهاراً متعبا فى البيع والشراء كما كنت قبلا ! إن ذلك لن يكون .

— أمهلنى لأتم حديثى . يجب أولا أن تعرف قيمة الآثار المادية ، ثم يجب ثانياً أن تبحث عن طريقة لبيعها ، فإذا ما تم ذلك وأصبحت النقود معك فيجب ابقاء عليها من الضياع أن تضع مقداراً كبيراً منها فى بنوك سويسرا وانجلترا ، ومن النقود الباقية يجب أن تنشىء معهداً خيريا يعلو به ذكرك ، ويخلد اسمك .

— نعم ! فى مقدمة مشروعاتى أن أعمل شيئاً خدمة للوطن ولكن معهداً كما تقول للتعليم بالمجان .

— معهد خيرى لتعليم المواد المختلفة ويتبعه مستشفى لمعالجة الفقراء ، وتجلب لها كبار العلماء ، ومشاهير الأطباء فى العالم ، عدا من يقع عليهم الاختيار من أبناء الوطن البرزين ، وتدفع لهم أجوراً طيبة .

وماذا أيضاً ؟

— تريث فى حديثى لما ينته ، ثم تنشىء أيضاً ملجأ للعجزة والمعوزين الذين نكبهم الدهر فى أنفسهم وأهليهم ... وتؤسس مكتباً للمحاماة يضم أشهر المحامين ليقوموا بالدفاع عن أولئك القرويين الذين تضيع كثير من حقوقهم لجهلهم بالقضايا وعدم ترددهم على المحاكم . وتلحق بهذا المكتب داراً للكتب ! ولكن اترك لى أنا هذه الأخيرة فإنى أريد أن أقوم بها .

— لماذا ؟ — هل تريد أن تعمل أنت الآخر شيئا ؟ قال فريد هذه العبارة بتعجب رداً على استدراك صديقه كأنه لم يرقه . فأجابه محمود :

— نعم ! أريد أن أخلد أنا الآخر اسمى ولكن ذلك يتوقف على القدار الذى ستتنازل لى عنه ، فإن كان كثيراً فسأقوم أنا أيضاً بتأسيس معهد آخر .

— ومن أى أنواع المعاهد يكون هذا المعهد ؟

— معهد ثقافى أجمع فيه علماء اللغة ، وأقوم بطبع مجلة شهرية ، وأدون مفاخر الألبان وقصص القدماء وأشعارهم وأغانيهم وعاداتهم بحيث لا أترك بقعة من بقاع ألبانيا إلا سردت تاريخها وطبائع أهلها ، وكل ما مر بها ، وأخرج كل ذلك فى كتب مفيدة ، وأكافىء مؤلفيها أحسن مكافأة تشجيعا وحثاً على الاستزادة ، وسأؤلف لجنة تقوم بتصحيح وطبع القواميس وترجمة كتب من عيون الأدب العالمى ، وسأنشىء داراً عظيمة للكتب

وسالة عظيمة للمحاضرات .

— هذا حسن ، وستقوم به إن شاء الله .

ثم إنه يلزم تكوين بعثة من رجال ممتازين ممن تفوقوا في مدارسنا لإرسالها إلى الخارج لتتخصص في الفنون التي ستقوم معاهدنا بتعليمها . وفي هذه اللحظة دخل القهي صديقهما شفيق حامد وتلفت عن يمينه وعن يساره وأمامه وخلفه كأنه يبحث عن شخص بعينه ، ولما وقع نظره على فريد ومحمود اقترب منهما فحياهما وسألهما عن السيد لطفي فأجابا أنهما لم يرياه فاستأذنهما وخرج يواصل البحث عنه ، ولم تمض بضع دقائق على خروجه حتى دخل السيد لطفي يتلفت هو الآخر ولما مر بجانبهما قال له فريد : لقد كان هنا منذ قليل « شفيق » يبحث عنك .

— وإلى أين ذهب ؟ . ألم يقل لكما ؟

— لا ندرى ! فقد خرج دون أن يقول إلى أين ذاهب ؟

— لعله يرجع ، فإني متعب من البحث عنه ، ثم أدنى كرسيه منهما وقال : هل لديكما ما يمنع من أن أتشرف بالجلوس إليكما فقالا له :

— تفضل فليس أحب لدينا من ذلك .

خلع السيد لطفي معطفه ووضعه فوق مسند الكرسي ثم جلس مع الشابين تبدو عليه مظاهر الحزن ودلائل التفكير مما حمل فريدا ومحمودا على سؤاله.

— ماذا عندك ؟ وفيم تفكر ؟

— لا شيء ، فلم يجد للآن جديد وإني أعتقد أنه بعد قليل من الزمن سيكون لدينا أخبار جديدة تهمة .

— وهل تعتقد أن شيئاً مهماً سيحصل ؟

— أقصد أخباراً شخصية خاصة لا مصلحية عامة .

— طبعاً ، إنك تعرف أننا نحب أن نسمع عنك كل خير ونتمنى لك كل سعادة .

— أعرف ذلك جيداً وأشكركما .

— على كل حال فإننا نهنئك مقدما بما تنتظر من خير .

— آه ! لو تعرفان ما ذا أنتظر ؟ ثم رأى صديقه شفيقا قد دخل من باب القهي فقال لهما : هذا هو شفيق ؛ وناداه فاقترب منهم وقال للسيد لطفي : أين كنت ؟ فقد فتشت عنك كثيراً ، إني أريد أن أحدثك على انفراد في موضوع هام .

— انتظر قليلا حتى أشرب الشاى فقد أوصيت عليه .

— المسألة مهمة ، لا تحتمل الانتظار ، فاعتذر السيد لطفي للشابين ولبس معطفه وخرج مع شفيق .

قال فريد لصاحبه ضاحكا ماذا بهما ؟

— قد سمعت إنه يقول : أعمال خصوصية ، ولست أدرى ما ذا يريد بها ؟

— لا يبعد أن يكون قد التحق بوظيفة ؛ فإنه يسعى لهذا من زمن بعيد ، وأنا أعلم أن حاله سيئة جداً .

— مسكين والله ؛ فقد كانت أسرته من أغنى الناس ، وكانوا جميعاً يرتعون في بحبوحة النعيم ولكن ! هي الأيام .

— يقال في المثل : ارحموا عزيز قوم ذل ، فإن مصيبته أكبر من مصيبة من لم يذق للعز طعما .

— لقد باعوا كل شيء بالمزاد ؛ فقد كانت بيوتهم مجاورة لبيوتنا ... وبعد فترة سكوت قصيرة رجعا إلى ما كانا فيه من حديث قبل مجيء السيد لطفي، فأخذا يتباحثان في أحسن الوسائل وأنجح الطرق لإنفاق هذه الأكداس المكدسة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ...

ولما دقت الساعة الثامنة خرجا من القهي وفي الطريق دعا فريد محموداً للمبيت معه في منزله ، ولكن محموداً اعتذر ؛ فقد شم من بعيد أن والد صديقه قد ثقل عليه أن يراه مع ابنه في البيت . وقال لفريد . سنتقابل في الصباح المبكر؛ ثم افترقا بعد أن تمنى كل منهما لصاحبه ليلة سعيدة .

عند ما وصل فريد إلى منزله قصد إلى حجرة والدته التي كانت مريضة مرضاً مزمناً من سنوات مرت ، وليست تستطيع أن تفارق الفراش ولا أن ترى الموقد غير مشتعل ليلا ونهاراً ، وكان فريد يقضي معها بعض الوقت كل يوم في الصباح قبل الخروج إلى المتجر وفي المساء بعد العودة منه ، ولما رأته في هذه الليلة والسرور يشع من قسمات وجهه قالت له بعد أن صرفت الخادم التي تقوم بشئونها : لقد أخبرني والدك بما حدث فهل أنت مسرور؟ فرد عليها بصوت تعمد أن يكون رزيناً هادئاً فقد ضبط شعوره حتى لا تتأثر والدته ... نعم أنا مسرور جداً ؟ فإن الحظ قد ابتسم لنا وأصبحنا نستطيع أن نمد يد المساعدة للآخرين . وأنت ماذا قلت عند ما بلغك الخبر ؟ . فابتسمت ابتسامة لطيفة وإن ظل بريق الحزن المكبوت في قلبها يشع في عينيها ؛ فقد كانت محرومة من كل نعيم في الدنيا ، وقد علمها المرض أن التقديس لا يكون

إلا للكنوز المنوية وهى العمل الصالح الذى ستلقاه شفيعاً لها أمام الله يوم الضيق ، والضنك ، يوم القيامة ولذلك أجابت :

— لم أقل شيئاً ! وإنما سررت كثيراً جداً من أجلك أنت .

فقال بصـوت امتلأ حناناً وعطفاً وإجلالا وتقديراً : سيكون أول عمل أبداً به أن أرسل فى طلب أشهر الأطباء العالمين المتخصصين ليقتلع جذورهذا المرض الوبيل من جسمك الطاهر. فأخذت يده فى يدها وجعلت تضغط عليها تعبر بذلك على أنها سعيدة بسعادته وأنها تتمنى له كل خير ...

غادر فريد حجرة والدته ، وعطف إلى حجرة المائدة فوجد والده يتناول عشاءه وهو عبوس الوجه ، مقطب الجبين ، شارد اللب ، مبلبل التفكير ، ورد تحية ابنه بصوت ضعيف حزين ، ثم خيم سكون شامل ، لم يكن يقطعه إلا رنين الشوك والملاعق وخشخشة السكين فى الأطباق ، وإن فريداً — وقدتناول عشاءه مع بيرام ومحمود مبكراً — جلس ساجى الطرف ، مطرق الرأس متحيراً ، لا يدرى السر فى حزن والده المفاجىء ، ولا يعرف من أين ولا كيف يبتدىء الحديث معه ؛ فقد انسدت عليه مسالك القول من هذا الجو القاتم ، ولم ير من المستظرف أن يغادر المكان دون أن يتكلما فى الموضوع على انفراد ليكونا طليقين ... وأخيراً وبعد صمت طويل قال الوالد فى تأثر ظاهر : كان يسرنى أن تكون أبعد نظراً ، وأسد رأيا ، وأكثر حكمة ، فلا تقع فى هذا الخطأ الذى وقعت فيه فإن قعودك عن مرافقة القروى إلى الكهف قد يفوت عليك الفرصة ، ففى المثل « إذا خرج الطير من الوكر فإن القبض عليه ثانية مصادفة قد لا تكونُ » . وها هى السيارات تحت تصرفك فلم لم تركب إحداها وتذهب معه ؟ ألا تخشى أن يذهب القروى إلى غيرك ؟

— لست أعتقد ذلك ، فقدخرج شاكراً لأنى أعطيته جنيهين

— وهذا أيضاً تصرف سىء ؛ فإن جنيهين مبلغ لا يغرى كان الواجب أن تعطيه خمسة على أقل تقدير .

— إنه غير محتاج ؛ فقد سألته عنـد انصرافه أن يأخذ غيرها فرفض .

سكت التاجر لحظة والغضب يشيع فى وجهه ، ثم قال فى شىء من الحدة : ولماذا أطلعت محموداً على هذا الموضوع ؟ ألا تعلم أنك بهذا العمل قد برهنت على قصر نظرك ، وقصور عقلك ، وعقم تفكيرك ، وأن محموداً سيطالب هو الآخر بمثل نصيبك فى هذا الكنز ؟ ولن تستطيع أن تدافع عن أحقيتك منه ... فنكس فريد رأسه ولم يقل شيئاً بل جمد فى مكانه يستمع إلى والده وهو يقول : أتستبعد أن يتسلل محمود فى هذا الوقت إلى القروى ويعرض عليه شروطاً أسخى ؟ وطبيعى لا يرفض القروى ، بل إنه يرحب به وينساك وينسى هذه الساعات التى قضاها معك هنا ... إنك دائماً لا تحسن التصرف فى الأمور التى تتولاها وأنا غائب ! فرفع فريد رأسه وعارض والده فيما نسبه لصديقه وقال له فى قوة : لا ياوالدى ! إن محموداً لا يفكر فى مثل هذا .

— يا بنى ، مثل هذه الأعمال يجب على الإنسان أن يخفيها حتى عن أقرب الناس إليه ، فقديما قيل : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » وأنت لا زلت فتى غراً ، قليل الدراية بأخلاق الناس ومعاملتهم ...

— إننى ياوالدى لم يصادفنى مثل إخلاص محمود ولا مثل مروءته وحفظه لحقوق الزمالة .

— قد يكون ما تقول حقا ، ولـكن على الإنسان أن يحتاط لنفسه . ثم ساد بينهما الصمت حتى فرغ الوالد من طعامه وقال: متى يأتى القروى ؟

— سيأتى فى منتصف هذه الليلة .

— إذن عليك أن تنتظره حتى يجىء بالعينات لنراها ونعمل حسابا مبدئياً لما قد تحصل عليه من مكسب . فإنه قبل الشروع فى العمل يجب أن نتعقل ونتروى ؛ لأن أقل خطأ يتركنا صفر اليدين . وإن عليك ألا تسير خطوة واحدة فى غير الطريق التى أرسمها لك ، فالآثار ذات القيمة يلزم نقلها على الخيل أو السيارات أولا وإخفاؤها فى الدور الأسفل من هـذا المنزل ، وإن كان فى الأزيار نقود — كما أعتقد — فإنه لا بد من سفرك إلى الخارج لتبيعها على دفعات متواليات . وأما الأشياء الأخرى فما نستطيع تصريفه منها نبقيه وما لا نستطيع تصريفه نرسله إلى الخارج أيضاً

— هذه يا والدى عملية شاقة تحتاج — كما تقول — إلى كثير من التبصر والحكمة .

— نعم يابنى ! ومن أجل ذلك فإن المكسب سيكون عظيما وسيعيننا على توسعة تجارتنا وإنشاء متجر كبير لنا فى « تيرانا » العاصمة ... إنك لم تقص على ما اتفقت عليه مع بيرام ، وماذا يكون نصيبه من المكسب ؟

— لقد اتفقت أن نبذل له معونتنا ، وأن نقتسم ما نحصل عليه مناصفة .

— أبك جنون ؟ كيف تتفق معه هذا الاتفاق ؟ ولكن لا بأس ! فسأعرف كيف أرضيه . إن مائتين من الجنيهات نفرغها في جيبه — بعد أن ننقل من الكهف كل شيء — مبلغ لن يحلم به ولن يقدر أنه سيحصل عليه . فقال فريد : وماذا نعطي محموداً ؟

— إنك قد أدخلت محموداً في هذا الموضوع من غير داع، وهذا خطأ كبير، فلنترك له تماثيل الأحجار، واللوحات المكتوبة وليذهب بنفسه ليأخذها بعد أن ننتهي من بيع الأشياء الأخرى

— قد يكون ثمن التماثيل واللوحات أكثر من ثمن تلك الأشياء ؟

— إن ذلك هو الواقع ! ولكن من المستحيل تهريبها خارج القطر ، ثم إن الحكومة ستعلم — إن عاجلا وإن آجلا — بشأنها وتستولي عليها ، والمهم أن ننجو نحن بما نريد .

مكث التاجر مع ابنه طويلا يتحدث إليه في هذه المسألة وكان كل هم الوالد أن يؤسس لهما تجارة جديدة في « تيرانا » وفي العاصمة الثانية « دورس » أكبر موانى ألبانيا . ولكن « فريداً » كان غير مرتاح لهذا الرأي فكان إذا أبداه والده اعتصم بالصمت ، وقد كان من رأيه أن التوسعة في التجارة لا فائدة منها ما دامت لديهم هذه الكثرة من النقود ... ثم إن « السيد عفت » أوى إلى فراشه وترك ابنه في انتظار « بيرام » فقام « فريد » إلى الموقد — وكانت ناره قد خبت — فأشعله ، وجلس بجانبه يتصفح جريدة صباحية ؛ إذ لم يكن إلى هذا الوقت قد استطلع الأخبار ؛ ولكنه عجز أن يحصر انتباهه في الجريدة فقد كان بعيداً بعقله عنها وعن كل ما حوت . وإن عينيه لم تغادرا السطر الأول ؛ فقد احتلت اقتراحات محمود بؤرة شعوره ، وسيطرت على تفكيره ؛ فرأى نفسه على رأس معهدين كبيرين ومشى وراء خياله في تلك الشوارع الواسعة التي ضمت المؤسسات الخيرية التي أنشأها ، وتحدث كرئيس أعلى لتلك المؤسسات إلى كبير الأطباء ، ومديري المعاهد ، وأمناء دار الكتب ، وإلى المؤلفين ، وإلى غيرهم من الموظفين الذين يأتمرون بأمره ؛ فكانوا جميعاً يحوطونه بهالة من الإكبار والإجلال ، كسباً لعطفه ، واغتناما لمودته ، ثم طار في عالم اللذات فرأى أن المؤسسات تحت رعاية طيبة لا تحتاج إلى الكثير من عنايته ، وأن في استطاعته أن يقوم بسياحات واسعة في أوربا ، وأمريكا ، وأفريقية ، ليمتع نفسه تمتع من يملك مثل ثروته . وإنه لفي هذه الأحلام اللذيذة وإذا بأجراس الكنيسة تعلن انتصاف الليل فتدق اثنتي عشرة مرة ، فاهتز جسمه ، واضطرب قلبه ، وأرهفت حواسه ، وانقطعت سلسلة أفكاره ؛ فقد اقترب موعد « بيرام » ... ولقد طغت عليه موجة من الخوف والحزن كادت تعتصر قلبه ، وتسلبه شعوره ، حينما دقت الساعة الأولى بعد منتصف الليل ، فأخذ يدور في الحجرة في غير وعي؛ وظل هذا حاله إلى أن دقت الساعة دقتين فثاب إليه بعض الرشد وقصد إلى حجرة الأضياف وأطل منها على الطريق غير عابئ بقارس البرد ؛ فإن حرارة جسمه ، وثورة غضبه ، وإشفاقه من أن يتحكم فيه سوء الطالع وتلعب به يد الأقدار ، جعلته في حالة لا يحس معها برداً ...

أمسكت السماء عن المطر ، وانجابت السحب في بعض الأماكن ، وأرسلت النجوم من عليائها على الأرض ضوءاً خافتاً ضعيفاً ، ومضى الوقت وئيداً وئيداً ، واشتد الحزن بفريد شيئاً فشيئاً ؛ فملأت الدموع عينيه وضاق به المكان ، فرجع ثانية إلى حجرة المائدة ، ووقف بجوار الموقد — وقد نسي أن يضع عليه وقوداً — جامداً كالتمثال ، إلى أن طلع الفجر ، واستنار الكون فأيقن أن رجاءه قد خاب ، وأن أمله قد ضاع لأن « بيرام » لم يرجع .

(يتبع)